

العليقة المشتعلة

الأب ليف جيليه

العليقة المشتعلة

بقلم

الأب ليف چيليه

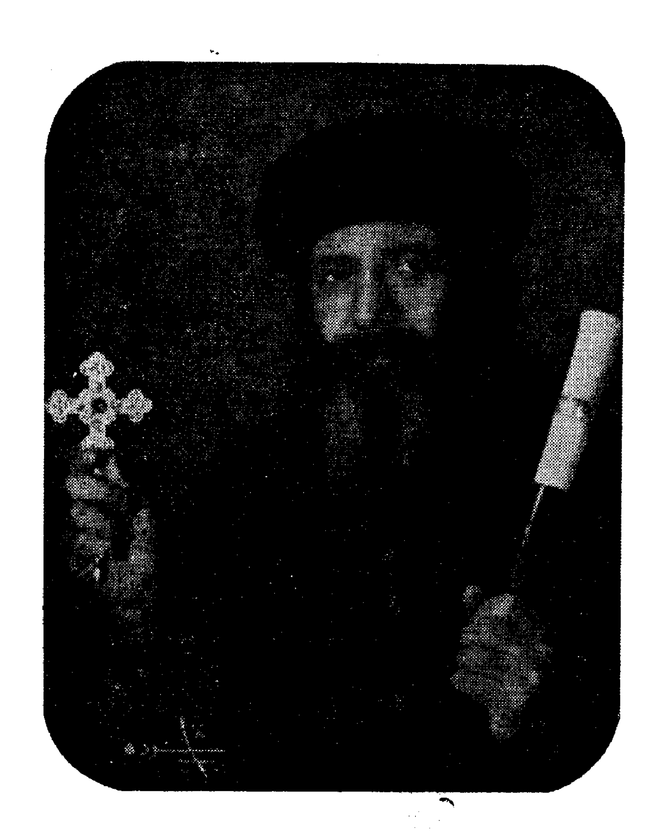
(راهب من الكنيسة الشرقية)

ترجمة

كنيسة السيدة العذراء

بالفجالة

يوليو ١٩٧٤



قداسـة البابا المعظم

الأنبا شـنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقديم

أيها القارىء العزيز ...

نرجوك فى محبة المسيح أن تتمهل قليلا ... وتحيد قليلا عن الطريق المعتاد ، وتترك الآن كل اهتمامات الحياة الحاضرة وتميل لتنظر العليقة المشتعلة .. ليست العليقة التى رآها موسى ، بل العليقة **الخاصة بك** ، وبك وحدك ... **قم ، هوذا يناديك** ... ليتك تسرع وتلبى النداء !

ان كاتب « العليقة المشتعلة » يقول ان الرب ينتظر منك مثل هذا التصريح ، أن تكون تحت تصرفه . أن تقول له هانذا فى نفس هذا المكان ، هانذا لك دون أى تحفظ . ومن بين ما يصف به الكاتب العليقة ... يقول أن نار العليقة المشتعلة هى بكل وضوح **الله نفسه** ، والله نار آكلة .. ثم يتساءل : أى نوع هى من النيران ؟!! .

وفى باب الحب غير المحدود نقرأ كلمات الحب المشتعلة : ان تاريخ كل واحد منا هو **تاريخ حب** .. فرب الحب قد أحبنى أنا نفسى منذ الأزل ... أحبنى قبل كل شىء فى داخل نفسه ، ثم أحبنى عبر ملايين الانساب الذين صرت خلفا لهم .

وفى باب الرجاء ، نجده يوضح الفرق بين الآمال الكثيرة

والرجاء **الوحيد** ، فيقول أن الرجاء هو رغبة أو شوق او انتظار ، ليس لموضوع يتصل بأمر معين ، بل **يمس مصيرنا كله** . فالفرق بين الآمال والرجاء تماما كالفرق بين قطاعات المنحنى وبين المنحنى كله .. ينبغى أن نتطلع الى منحنى وجودنا كله بثقة ملتهبة بالحب ... ثم يتساءل ويجيب عن معنى قمة الرجاء ... وفى باب آخر يربط رباطا عجيبا بين أسوار أريحا وبين العليقة المشتعلة ...

تأملات هادئة كثيرة ستقابلك فى هذا الكتيب ، **لا نريد** ان **نفقدك** لذة التمتع بها ... بل سنتركك **الآن معها** ، لكى تترك كل شىء جانبا ، وتميل الى العليقة المشتعلة ...

وبعد ... **فلابد** أنك ستتقابل مع الله من خلال **العليقة** ، كما تقابل موسى . ولابد أن الله يريد أن يرسل **لك** – **أو** عن **طريقك** – رسالة .. فلا ترفض ولا تعاند ، بل **تقدم** بثقة وقل له ((**هأنذا**)) ... الرب معك .

الكنيسة

١

المنظر العظيم

فقال موسى : « أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ، لماذا لاتحترق العليقة » خروج ٣ : ٣ .

ان المنظر العظيم الذى رآه موسى ، هو احدى نقاط التحول الرئيسية فى تاريخ الشعب القديم . وتعرف هذه الحادثة فى تقليد العهد القديم وتقليد العهد الجديد معا باسم **« العليقة المشتعلة »** . لذا أود ـ أن سمحتم لى ـ أن استخدم نفس العنوان لمقالات هذه الخلوة الروحية(١) ، لأن موضوعنا سيكون ـ اذا وافقتم ـ عن تلك العليقة المشتعلة بعينها ، ودلالاتها الروحية .

ولنبدأ بتصوير الحادثة كما وردت فى الكتاب المقدس : كان موسى يرعى غنم يثرون حميه فى الصحراء المصرية(٢) ، ثم ساق الغنم عبر الصحراء حتى وصل الى **حوريب « جبل الله »** ، وهناك ظهر له ملاك الرب ، **ـ أو بالحرى الرب الاله نفسه ـ** فى شكل ملاك فى وسط لهيب النار ، وكانت النيران تشتعل فى العليقة دون أن تحترق أو تفنى .

---

(١) القى هذه الكلمات راهب ارثوذكسى (الاب ليف جيليه)فى خلوة نظمتها « أخوية القديسين اولبان وسرجيوس » سنة ١٩٦٩ م فى بليشى بانجلترا .

(٢) صحراء سيناء .

اما موسى فكان مندهشا ، وعزم أن يميل ويغير مساره الأصلى ، لكيما ينظر عن قرب هذا ((**المنظر العظيم**)) ويرى : **كيف لا تحترق العليقة ؟!** .

دعونا نقف هنا قليلا لنتأمل امرين :

الأمر الأول ــ أين تمت حادثة العليقة المشتعلة ؟

تمت على الجبل المسمى حوريب . ويعتبر هذا الجبل جغرافيا جزءا من سيناء ، أما تاريخيا وروحيا فان حوريب وسيناء تتضمنان مفاهيم مختلفة تماما . **فالجبل الأول** هو الجبل الذى رأى فيه موسى العليقة المشتعلة ، أما الجبل الآخر فهو الجبل الذى تسلم فيه موسى الوصايا الالهية اى لوحى الشريعة . فلو كان الشعب اليهودى قد استطاع أن يحيا وفق منظر العليقة المشتعلة ، لما احتاجوا الى لوحى الشريعة . فلأجل أولئك الذين لم يتأثروا برؤيا حوريب (**العليقة المشتعلة**) كانت رؤيا سيناء (**الشريعة**) ضرورية لهم . **فحينما تنعدم الحرارة الداخلية** تكون الحاجة ضرورية الى وصايا مكتوبة على الواح حجرية ــ ان هذه الحقيقة تنطبق علينا تماما ، كما كانت تنطبق على الشعب فى العهد القديم .

الأمر الثانى ــ هو عن ميلان موسى عن طريقه الأصلى :

لقد شعر أن معجزة العليقة المشتعلة تستلزم منه وقفة ،

وتحرك برغبة التامل وامعان الفكر فيها ، وقبل بلا تردد هذا الحدث الالهى المفاجىء الفريد . ولكونه لم يتردد فى تغيير طريقه نحو العليقة المشتعلة ، استطاع الله أن يناديه. فلما رأى الرب انه (موسى) **مال لينظر ناداه** من وســـط العليقة وقال : موسى موسى ــ فقال **هاننذا**))(٣) .

كل هذا ينبطق علينا اليوم كما انطبق على موسى قديما. فاذا كنا فى حياتنا اليومية نسرع فى طريقنا دون أن نتوقف ، نسرع دون أن نلقى نظرة الى العليقة المشتعلة (التى تظــل فى توهجها طوال طريقنا ، رغم أن عيوننا تكون مغلقة فى اكثر الأوقات) فاننا ســنفقد الفرصة التى يتيحها لنا الله . بينما من الناحية الأخرى **اذا لم نتردد فى ان نترك جانبا غنم يثرون** (اهتماماتنا اليومية) لبعض الوقت ، فالرب سوف ينادينا من وســط العليقة ــ سوف ينــادى كلا منا باسم خاص .

وأجاب موسى : « ها أنذا » دون أن يعرف ماذا يريد الله منه ــ ان الرب ينتظر منا مثل هذا التصريح أن نكون تحت تصرفه . فلذلك ، ونحن فى مستهل هذه الخلوة الروحية ، جدير بنا **ان نضع انفسنا فى حضرته امام العليقة المشتعلة**

(٣) خروج ٣ : ٤ .

ونقول : « هاأنذا فى نفس هذه اللحظة ــ هاأنذا فى نفس هذا المكان ــ هاأنذا لك ، دون أى تحفظ » .

والآن دعونا نرجع الى رواية الكتاب المقدس .. ربما كنا نتوقع أن الله يشجع موسى أن يأتى اليه فى الحال مسرعا ــ ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. **« فقال (الرب) لا تقترب الى هنا . اخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذى انت واقف عليه ارض مقدسة »**(٤) .

فهكذا هو الحال معنا، فالاقتراب الي العليقة المشتعلة ليس بالأمر السهل كما قد نتصوره ، فامامنا **اولا الصعود الى جبل حوريب** (معظم الرؤى الالهية فى العهد القديم حدثت فوق جبال) . فلكى نقترب من الله يجب أن نبدأ بالصعود فوق السهول ، وذلك بأن **نحرر انفسنا من كل همومها ،** وبالتدريج نصل الى ارتفاعات نرى منها الأشياء على مستوى **أبعد** ، والهواء أكثر نقاوة وهذا الصعود **لا يخلو من الصعاب ..** فتوجد متاعب الطريق ، ويوجد ايضا ثقل الجسم نفسه ، ويوجد مجهود اخضاع الجسد الذى غالبا ما يقاوم (التعارض الدائم بين ثقل الجسد والنعمة) . ولكن **الصعود** ليس هو كل شيء ، فمعه **يجب أن نكون حفاة ،**

---

(٤) خروج ٣ : ٥ .

ويجب أن نخلع نعالنا ، فنحن لا نقدر ، ولا يجوز لنا أن ننتهك قدسية الأرض المقدسة بحضور الله ، بأى وحل أو حتى أتربة ربما تكون قد لصقت بأقدامنا خلال السفر .

((لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة))

هذا القول ينطبق أساسا على العهد القديم . وعلى الزمن الذى قيل فيه هذا الكلام ، ولكن منذ أن تعلمنا أننا لسنا بعد تحت الناموس بل تحت النعمة ، فان نورا جديدا قد اضاء المشهد كله . فقد كانت هناك على الدوام أماكن معينة قد انفردت اما بتاريخها ، أو بطقس معين للتكريس .. ولكننا ندرك الآن أن **أى مكان نتقابل فيه مع الرب يمكن أن يصير موضعا مقدسا** .. الطريق الذى نسير فيه ، الشارع الذى نعبره ، القطار ، المصنع ، الحقل ، الحجرة ، المستشفى ، المدرسة .. كل هذه الأماكن يمكن أن تكون معابد لنا ، نعبد فيها الله بالروح والحق .. أو هياكل فيها يدعونا الله بأسمائنا الخاصة .. **ان العليقة المشتعلة يمكن أن توجد فى كل مكان .**

كذلك ، نحن الآن فى هذه اللحظة بالذات أمام العليقة المشتعلة ، أمام هذا « المنظر العظيم » .. قد حان الوقت **لنسأل أنفسنا :** ماذا يعنى هذا المنظر ؟ ولماذا لا تحترق العليقة ؟ وككل حدث فى تاريخ الخلاص نجد أن للعليقة

المشتعلة معان كثيرة ، من بين هذه المعانى ما هو ثانوى ، **ولكن معنى واحداً يبقى أساسيا .**

أولا : دعونا نفحص **المعنى التاريخى** للعليقة المشتعلة .. لقد كان موسى فى حاجة لأن يدرك دعوته ، فبنو اسرائيل كانوا مضطهدين فى مصر ، ثم تحنن الله على شعبه ، لذلك قال لموسى : « أنى قد رأيت مذلة شعبى وسمعت صراخهم ... أنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم ... وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك »(٥) .

فاشتعال العليقة بالنار ، يصور لموسى آلام اسرائيل من الاضطهاد الأجنبى . وحقيقة أن العليقة لم تحترق رغم إشتعال النار فيها ، تعبر عن **العناية الالهية** ، وتشكل **رمزاً وعربونا للرجاء والتحرر .**

ورغم أن هذا المفهوم للعليقة المشتعلة يعتبر ثانويا ، الا أنه من الوجهة التاريخية أقرب المفاهيم وأكثرها ملائمة : ولكن للعليقة معنى أعم يتصل بحياتنا اليومية . ففى أوقات الضيقات قد نشعر ، مثل بنى اسرائيل فى مصر ، أننا نتمزق ونحترق .. ولكن النظرة الروحية للعليقة المشتعلة تؤكد لنا **أن النار سوف لا تلتهمنا أو تفنينا .. ان العناية**

---

(٥) خروج ٣ : ٧ ، ٨ ، ١٢ .

الالهية تجاهد معنا وسط النيران ، وتحمل عنا نصيبنا منها حتى لا نهلك أو نفنى « أنى قد رأيت المذلة .. ونزلت لأخلص » .

والآن لنتأمل **معنى ثانويا آخر** للعليقة المشتعلة ، ما هو ذلك الشيء الذى كان يحترق ؟ انها ليست شجرة يانعة محملة بالأوراق والثمار ، ولا بنبات جميل مكسو بالزهور معطر بالرائحة ، ولكنها شجيرة ، أو بتعبير آخر نبات برى يفتقر الى أى مسحة من الجمال .. انها كتلة صغيرة من الأغصان المتناثرة ، شجيرة ضعيفة مهملة وعقيمة ، لها أشواك توخز وتجرح وتمزق ، وهذا النوع من النباتات يذكرنا على الفور بالأعشاب الضارة . وفى اشتعال الأعشاب الضارة (التى رغم اشتعالها لا تحترق) نجد معنى شاملا واضحا .. فالأعشاب السامة تمثل النفس المستسلمة للخطية ، والنار الالهية تنقى دون أن تدمر . لذا يلزم أن نلقى أغصاننا الميتة ، وأشواكنا ، وأعشابنا الضارة فى هذه النار ... **ان العليقة المشتعلة هى رمز للتطهير** .

لقد تأملنا الآن وجهتين للعليقة المشتعلة ، وكلاهما ثانوى رغم ما لهما من أهمية كبيرة . ولكننا للآن لم نلمس **المعنى الأساسى والأبدى** « للمنظر العظيم » ... ان العليقة

المشتعلة لها معنى يفوق بكثير معنى الحماية الالهية من لهيب الضيقات ، ويسمو كثيرا فوق معنى التطهير الالهى الذى يؤلم ويحرر فى نفس الوقت ... **هذا** المعنى الأسمى يعلو فوق كل هذه **المعانى** ، ولقد حان **الوقت** الآن لكى نخضع أنفسنا لما تعنيه هذه الرؤيا الأساسية .

هاك أعمق معانى العليقة المشتعلة .. **انها** التعبير المنظور عن طبيعة الله ذاتها . ان العليقة **المشتعلة ترمز** الى **الجوهر الالهى** ، وهذ يتطلب المزيد من الشرح ..

فى منظر العليقة المشتعلة يوجد **عنصران** .. فأولا هناك **نار ولهيب** ، ثم هناك **عليقة تشتعل بالنار دون أن يمسها أذى** . ان نار العليقة المشتعلة هى بكل وضوح : الله نفسه . الله نار آكلة . ولكن أى نوع من النيران : نار الغضب ، أم نار العقاب ، أم نار الدمار والانتقام ؟

ان فقرات معينة من الكتاب المقدس قد تتجه الى هذا المعنى ، ولكنها نوع من التجسيم (أى خلع الصفات البشرية على الله) .. انه أسلوب بشرى فى التعبير . فالتقليد الروحى كله فى المسيحية ، سواء فى العهد الجديد أو لدى آباء الكنيسة أو القديسين ، يرى فى هذه النار الالهية ، نار العليقة المشتعلة ، النار التى تبدو أنها تحترق لتوصل ذاتها .. يرى فيها **حب الله المتوهج** .. حبه الملتهب بالفعل .

الحب الالهى .. انى لا اجرؤ أن أستخدم هذه الكلمة دون تردد .. فكثيرا ما أسىء اســـتخدامها ، وكثيرا ما امتهنت – ولكن يجب الا ننسى أن التعريف الوحيد لله فى العهد الجديد هو فى هذه الكلمات : **((الله محبه))**(٦) .

الله نار .. الله محبة .. الله قوة حب تبذل **ذاتها** . انه نار تقدم نفسها لنشترك فيها . وبعد أن رأى موسى نيران العليقة المشتعلة بمئات الأعوام ، حلت هذه النار عينها مثل السنة **نارية يوم الخمسين ، واشتعلت فى قلبى تلميذى عمواس .**

وعنـــدما نقول أن الله هو نار الحب ، فنحن بالتـــأكيد نسجل حقيقة تحطم الكثير من أفكارنا ، بل فى الواقع معظم أفكارنا .. ولكننا يجب أن نتوخى الدقة ، اذ ونحن نتأمل فى العليقة المشتعلة ، يجب أن ندرك بوضوح كيف أن منظر العليقة فى حوريب يختلف عن باقى تصوراتنا عن الله والتى تتحدث عنه كذلك بوصفه نار وحب .. فماذا يوجد **بنوع خاص فى هذا المنظر العظيم** ؟ .. وما الذى تؤكد عليه رؤيا موسى ؟؟ .. هذا هو ما سوف نحاول أن نكتشفه فى تأملنا المقبل . ولنكتف الآن بتأييد البديهيات التالية :

الله هو نار الحب التى تشعل العليقة دون أن تفنيها ..

---

(٦) يوحنا الاولي ٤ : ١٦ .

وهو أيضا قادر أن يضرم النار فيّ دون أن يفنينى . لقد قلنا مع موسى « أميل لأنظر هذا المنظر العظيم ، لماذا لا تحترق العليقة » . ولكن لا يكفى أن نتأمل من بعيـــد ، فان الله يدعونى ويتكلم معى من ذات قلب العليقة .. ربى هيئنى لكى أدخل الى داخل العليقة المشتعلة ذاتها ..

* * *

٢

الحب غير المحدود

فقال موسى لله : « ها انا آتى الى بنى اسرائيل ، واقول لهم : اله آبائكم أرسلنى اليكم . فاذا قالوا لى : ما أسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ » خروج ٣ : ١٣ .

لقد رأينا فى تأملنا الأول ، أن العليقة المشتعلة هى اكثر من أن تكون رمزا للعناية الالهية الموهـــوبة لنفس مثقلة بالتجارب . وهى أكثر من كونها رمزا لنفس تشـــوهت بالأدناس . فالنار التى تشتعل دون أن تحترق أو تحرق ، انما تعبر عن نفس جوهر الله الذى هـــو الحب المتوهج . والآن ينبغى أن نكتشف كيف أن هذه الصورة من الحب الالهى لها معنى تنفرد به عن الكثير من الصور الأخرى لهذا الحب .

أننا نحن الآن ــ مثل موسى ــ أمام العليقة ، ومع موسى نخاطب الله : « عرفنى أسمك . تحت أى اسم سوف أعلنك للناس ؟ » **فما هو اذن الاسم المقدس** الذى تعطيه لنا رؤيا حوريب ؟ .. ونحن نعلم مقدار الاهتمام الزائد الذى كان يعطى لمعرفة الأسماء الالهية فى الأزمنة السابقة (ســـواء الأممية أو اليهودية) ، فمعرفة اسم الله كان يعنى ــ الى حد ما ــ امتلاكه والشركة فى وجوده وقوته . وتدريب صلاة يسوع (المنـــاداة المستمرة باسم يســـوع) فى الكنيسة

الارثوذكسية ، وغيره من التداريب التى تدور حول اسم الله .. كل هذ يؤكد الحيوية الدائمة التى تتصف بها هذه التداريب المتمركزة حول اسم الله .. **والله له اسماء كثيرة بعدد اللحظات التى يكشف لنا فيها عن ذاته** ، فهو دائما كما هو ، ومع هذا فهو جديد دائما !!

ولكننا نحن كثيرا ما نلبس قناعا ، ونظهر كمتنكرين عندما ندعي اننا نعبد الله . فنحن لا نقترب اليه بصورتنا الحقيقية ، بل بالصورة التى نحب ان يرانا فيها الآخرون ، أو التى نحب أن يرانا فيها الله .. وهذا تصنع لا صدق فيه . بل الأكثر من هذا : أننا كثيرا ما نعبد الله تحت اسم ليس هو اسمه ! فيجب أن نسأل أنفسنا فى كل مرة نقترب الى الله ، وفى كل مرة نتحدث اليه : **ما هى صورته التى يكشف لنا عنها** فى تلك اللحظة ؟ وحينئذ ينبغى أن نوجه أنفسنا وفق هذه الصورة الخاصة ، وتحت هذا الاسم الخاص .

وفى هذه الأيام نسمع فى مجال الجدل اللاهوتى أو الفلسفى كلاما كثيرا حول « موت الله » ، فمن الواضح أن هذا التعبير غير مستساغ ، فالله لا يموت . ولكن هناك مفهوما معينا عن الله الذى يموت (ونحن ينبغى أن نتقبل هذا الكلام بفرح) وهو على وجه التحديد مفهوم الاله البعيد الذى يصور بطريقة مجازية كأنه جالس على عرش

سماوي ، يوزع البركات والعقوبات على خليقته .. ملك متعال لا يمكن الوصول اليه بسهولة .

أما الاله الذى نهدف اليه .. الاله الذى نستطيع ان نحبه ، هو الاله الذى يسمو فوقنا بالتاكيد .. ومع هـذا فهو **اكثر الفة الينا** ، فهـو الحقيقة الداخلية العميقة . وباختصار الله الذى هو الحب . ولكن هل نعرفه نحن بهذا الأسم ؟ وهل نعبده تحت هذا الاسم ؟..

كثيرا ما تكون المفردات اللغوية ذات اهمية بالغة ، فكلمة « الله » قد اصبحت مقدسـة خلال تقليد طويل ، وعن طريق الاستعمال الشائع ، والاستعمال الليتورجى .، هذه الكلمة ، وهذا الاسم ، هو بمثـابة القلب والقوة لنفوس كثيرة لا تحصى . وأى انتقاص لها هو تجديف ، وليست هناك فكرة لنبذ استعمال هذه الكلمة ..

ولكن هذا لا يمنعنا من ملاحظة امرين **اول كل شيء** : ان كلمة الله من وجهة التحليل اللغوى ليس لها مفهوم محدد ودقيق ، اذ لها اتساع تبدو معه فى بعض الأحيان وكأنها بلا مدلول . فضلا عن هذا انه يمكن استعمال هذا الاسـم بطريقة روتينية آلية كما لو كانت صيغة بغير معنى .

ومن الناحية الاخرى فانه فى بعض الأوقات عندما يوهب **لنا اختبار خاص مع الله** ، **نجد ان هذا** الاسم الذى **يحوى**

كل شيء يبدو لنا أنه غير كاف لكى يعبر بقوة عن الصورة الالهية التى استعلنت لنا فى هذه اللحظة بالذات ، وفى تلك الظروف بعينها .. حتى أنه عوض أن تقول : « الله » أو « الهى » أو « أنت هو الله » أو « الرب الاله » .. نجد ما يحفزنا أحيانا الى أن نقول : « أنت هو الجمال » « أنت هو الحق » « أنت هو حياتى » « أنت هو نورى » « الرب قوتى » « الرب هو خلاصى » .. وهكذا . وقد نصحت نفوس معينة فى بعض الظروف باستعمال هذه الحقائق الشخصية الملموسة أفضل من اى اصطلاح مجرد ، واظنهم قد أستفادوا من هذا التبديل .

انه من الخطورة أن نضع صفات ميتافيزيقية* موضع الاله الحى الشخصى ، أو أن نذيب الشخص ، الذى هو بالحرى الشخص المطلق الفائق ، فى أوصاف نفسية أو ادبية . بل يجب الا نغفل لحظة عن هذه الحقيقة ، اننا نستطيع أن نعبد الكائن الأبدى الوحيد تحت الاف الأسماء المختلفة .

واذا كنا نؤمن أن الله محبة ، واذا كنا نؤمن أن اختبار الله فى صورة الحب هو الحقيقة العظمى ، فسوف يكون من الطبيعى لدينا أن نفكر فى الله وان نتكلم عنه على انه « رب الحب » او فى بساطة « **الرب الحب** » وهذا يغير كل آفاقنا

(*) اى فائقة للطبيعة ، او ما وراء الطبيعة .

.. فليس الأمر هو تاليه فكرة موضوعية عن الحب ، ولكنه موضوع سعى نحو **بلوغ المحبوب** ، الذى هو ينبوع كل حب.

والآن لنعد الى العليقة المشتعلة : « أخبرنى عن أسمك » « أيها الحب ، يا من أنت منذ القديم وفى هذه اللحظة من التاريخ ، أنت الآن فى هذه اللحظة من حياتى الشخصية ، اكشف لى عن ذاتك بواسطة هذه العلاقة .. اظهر لى ماهو المعنى الحقيقى لرؤيا حوريب » .

ويجيب الرب الآن على سؤال موسى قائلا : **((انا يهوه))** .. ولكن ما هى العلاقة بين هذه الاجابة « أنا يهوه » . وبين العليقة المشـــتعلة ؟. ان المعنى الدقيق لكلمة يهوه كان ــ وسوف يبقى ــ موضوع تفســيرات مختلفة . فكلمة « أنا يهوه » يمكن أن تعنى « أنا هو الذى أكون » « أنا هو ما أكون » أو « أنا الآن الكائن الذى سوف يكون » أو « أنا هو ما أريد أن أكون » ولكن كل هذه التفاسير لها أســاس واحد ، وكلها تعبر عن فكرة الكينونة وعن الكيان الالهى .

ومنذ أن أعطى هذا التعريف لكيان الله فى حوريب ، فى موضوع العليقة المشتعلة ، والكتاب يقيم علاقة معينة بين رؤيا العليقة **واعلان اسم الرب** . وقد يعترض على هــذا التفسير مؤرخ أو دارس مدقق الكتاب المقدس . ولــكنى على حق عندما اذكره على الصعيد الروحى ، فالربط بين **الرؤيا وبين اعلان الاسم الالهى يحمل الينا الرسالة التالية :**

« انت تسأل عن اسمى ؟. انا كائن . انا الكائن الذى تراه موجودا فى هذه اللحظة . انظر امامك : ها انت ترى العليقة التى تشتعل دون أن تحترق . انك ترى النـــار . ان الكيان الذى اكونه هو كيان نارى ، وهذه النيران **تعلن عن حبى** . ولكن تطلع بعناية أكثر .. ان نارى لا تدمر ، فالذى تشتعل فيه **تنقيه ، وتحوله الى طبيعتها، وتجعله جزءا منها.** ولهيبى لا يحتاج الى وقود يغذيه فهو يمنح نفسه ويعطى ذاته . انا هو العطية التى لا تكف عن ان تعطى ذاتها . انا هو ما رأيته من كيـــانى فى حوريب ، فكيانى أى طبيعتى (بوصفى أنا يهوه) تندمج مع حبى . ولكن الحب الذى أعلنه لك الآن فى شـــكل العليقة المشتعلة هو حبى الذى **لن يكف عن ان يحب ويشعل** ، وليست له حدود تحده أو توقفه . فالعليقة المشتعلة واسم يهوه يعنيان معا عطائى الذى لا ينضب ، فانا هو الحب غير المحدود » .

الحب غير المحدود .. هذه الكلمات التى نطقت بهـــا الآن ، هى ما أردت أن أجعلها محور هذا التأمل ، فاننـــا بالطبع نعرف ان الله محبة ، ولكنى أريد الآن أن أتأمل معكم بعمق أكثر المعنى الخاص **للحب الالهى** كحب غير محدود .

ان الحب الذى يتدفق من الله غير محدود بزمان ، انه أبدى .. لأن الحب الالهى هو أبدى . احب دائما وسوف يحب الى الأبد . **أحب فى قلبه كل الكائنات مهما كان نوعها،**

حية أو غير حية ، حتى قبل أن تخلق ككائنات مستقلة (متميزة عن الكائن الالهى) .

ما هو الخلق ؟ ان كل عملية خلق هى عملية حب . والخلق أيضا هو العمل الذى كان بالنسبة لله موضوع حب داخلى ، ثم يصير بعدئذ موضوع حب خارجى يستمد وجوده من الله . ويصير قادرا أن يدخل مع الله فى علاقة تعبر عن نفسها بالضمائر « أنا » و « هو » و « أنت » .

هذه هى قصتى شخصيا وهى قصتك أنت أيضا . ان تاريخ كل واحد منا هو **تاريخ حب** ، فرب المحبة قد أحبنى أنا نفسى منذ الأزل .. أحبنى قبل كل شىء فى داخل نفسه ، ثم احبنى عبر ملايين الانساب الذين صرت خلفا لهم .. ان وجودى الحالى هو قمة استعلان الحب والنعمة . واذا نظرت الى الوراء مستعرضا شريط حياتى الشخصية منذ نعومة اظفارى ، **تتراءى أمامى احساناتك العديدة يا اله الحب** ، واعترف بها الآن .. مع أنه فى حينها لم تكن تظهر فيها أعمال المحبة .

والحب لا يحده مكان .. هل تأملت مرة فى مزمور ١٠٤ ؟ انه يتلى فى الكنيسة الارثوذكسية* فى كل ليلة فى بدء صلاة المساء . اقرأه بعناية ، ففيه يعبر الكون كله أمامنا : الجبال،

(*) كنيسة الروم الارثوذكس .

والبحار ، والرياح ، والعواصف ، والوحوش ، والحيوانات الصغيرة الضعيفة ، والأشجار ، والصخور .. أنه أنشودة كونية ينبغى أن توجه عبادتنا نحو طرق أرحب بكثير من اى علاقة خاصة مع الله . وما أحوجنا أن نترك أنفسنا **ليحملها هذا التيار الجارف** من الحب غير المحدود ، بواسطة هذا الحافز ، وهذا التطلع الذى فى الطبيعة كلها فى انتظار الخلاص من آثار السقوط كما قال القديس بولس(١) .. ورغم هذا يجب أن ننتبه لئلا يكون صعود الانسان نحو الله سببا فى أن يحجب عنا نزول الله الى الانسان .

خذ زهرة فى يديك ، وخذ حجرا ، وتأملهما لا من زاوية علم النبات أو الجيولوجيا ، ولكن من الناحية الروحية ، فكل منهما صورة لامتداد العالم نحو **المسيح الكل** الذى يتحدث عنه القديس بولس . ومع هذا فانهما ليسا علامتين فحسب للحب الذى يتجه الى فوق ، ولكنهما أيضا علامتين للحب المنحدر الينا ، **الذى يعلن ذاته لنا** ، ويهبنا ذاته مقتربا الينا أكثر فأكثر .

تأمل الجمال الالهى فى الأعشاب ، أو فى ورقة نبات ، أو فى غصن شجرة .. لتلمس فيها قربانا فى صورة رائحة أو لون . ليتنا نوحد حياتنا الروحية مع حياة الكون . ليتنا نلمح فى كل خليقة **نبعا من الحب الالهى يتناسب معها**

---

(١) رومية ٨ : ١٩ ، ٢٠ .

وحدها . فالرب الحب قد أحب كل حبة رمل ، كل حجر ، كل ورقة ، كل شجيرة ، كل حيوان .. ولكى نوحد أنفسنا مع كل هذه ، وندخل الى هذا التيـــار العظيم من الحب الصاعد والحب الهابط ، ونعبد الله ، ونقدم الشكر له باسم الطبيعة (غير الناطقة) .. هذه هى العبادة الكونية انها استجابتنا للحب غير المحدود .

هل تحب الشمس ؟ هل تحب الكواكب ؟ هل تشكر الله لأنه خلقها وأوجدها ؟ هل تدخل الى الحب الالهى عن طريق كل هذه الموجودات ؟ ان الأمر ليس بهذه البساطة . هل تحب الحيات ؛ انه حتى لو لدغتنا حية فينبغى أن نكون قادرين على ان نحبها فى نفس اللحظة التى تلدغنا فيها . فالحية لا تلام ، لأنها ــ فى بساطة ــ اطاعت نداء الغريزة .. لقد صارت الحية ــ مثل كل الخليقة ــ ضحية للسقوط ، **ولكن الله المحب لم يفتر عن أن يحبها .**

ان أجمل زهرة سوف تموت . وهذا يعيد الى اذهاننا مشاكل انحلال الأشياء ونهايتها ، ومشاكل الشر والموت والألم والخطية .. فكل هذه الأشياء حقائق يستخدمها البعض دائما فى اعلان حرب عنيفة على الحب غير المحدود . وسوف نعود الى بحث هذا الموضوع . ولكن الحب ريح عاتية .. انه زوبعة تفتح النوافذ عنوة وتهشم زجاجها . فهو يقلب مفاهيمنا القديمة تماما . انه يكسر قارورة الطيب

الخزفية ليفوح شذاها . أنه أسمى من الشريعة واسمى مما نسميه « الأخلاق » و « الدين » .. فالحب **يقهر الموت نفسه** ، وما من عقبة الا ويتغلب عليها الحب غير المحدود .

وعند هذه النقطة أود بلا تباطؤ أن **أناقش أمرين** فى غاية الأهمية ، ربما يكون قد أزعجا تفكيركم . فانى لم أتكلم بعد عن شخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . الم تذب الصورة التى رسمتها الأناجيل للمسيح الوديع المتواضع ، فى بحر هذا الحب غير المحدود ؟ وهل نحن فى حاجة الى ان نلتمس مفهوما فائقا عن الحب ، بعد هذا الذى صنعه الرب .. اذ عن طريق الحب **صار الله انسانا** ، وعاش حياتنا الأرضية ؟ ليت الله يحفظكم من أن تنسوا هذا الحب المخلص . انى أؤمن واعترف أن يسوع كان ولا زال هو **الصورة البشرية للحب غير المحدود** . وأن فيه حل كل ملء اللاهوت ، وبالتالى كل ملء الحب . وأتجاسر فأقول أننا هنا نمتد الى « ما وراء يسوع » ! ويجب أن ندرك جيدا ماذا أعنى بهذا الكلام ، فانه ــ بمعنى خاص ليس هناك ما يمكن أن يسمى « ما وراء يسوع » لأن يسوع قد جاء بالخلود والكمال الى العالم . ولكنى بمعنى آخر يمكن أن نذهب الى ما وراء الصورة التاريخية ليسوع ، لنصل الى **المسيح الأبدى** . ففى كل ما قاله يسوع وما فعله علانية ، ينبغى أن نكتشف وأن نتبين ما كان فى داخل يسوع ..

يسوع الداخلى .. جوهر يسوع الالهى . هــذا الجوهر الالهى لم يكن محدودا فى شخصه ، فيسوع نفسه صلى الى الله . واذ نتأمل فى الحب غير المحدود فاننا نمتد نحو ذلك الينبوع الحى الذى كان فى نفس المخلص .

الأمر الآخر الذى ينبغى أن أذكره هو موضوع العلاقات الداخلية الشخصية التى فى قلب « الله الحب » .. كيف نستطيع أن نتكلم عن الحب غير المحدود دون أن نتــأمل **سر الثالوث الأقدس** .. سر الملائكة الثلاثة الجالسين على مائدة ابراهيم تحت بلوطة ممرا ؟ وكيف نستطيع أن نتجاهل التمايز بين الأب وابنه وروحه ؟. أقول فى بساطة أنى أفضل الا أقول شيئا عن هذا السر وعمقه ، عن أن أتكلم عنه فى ايجاز وسطحية .. ولكن ما أحاول أن أوضحه هو أن الحب غير المحدود هو **الصفة العامة والمشتركة للأقانيم الثلاثة** .. ويمكنكم أن تتعمقوا أكثر فى مفهوم الحب غير المحــدود ، وتتعمقوا فى معنى فــكرة « الحب » وفكرة « المحبــوب » و « الشركة مع المحب » و « الشركة مع المحبوب » فى نفس الحب الواحد .. ويمكن أن نطبق المقاييس الأرضية على فكرة الحب المعطى ، والحب المقبول ، والشركة فى الحب الواحد .. (وهذا الأخير يلقى ضــوءا على دور الرجــل الثالث وعواطفه البشرية نحو زوجين) وهكذا تستطيعون عن هذا الطريق ــ الذى ليس هو الطريق الوحيد ــ أن

تتلامسوا مع سر ممرا، الذى هو ليس الا **سر العليقة المشتعلة،** انما فى صورة أخرى . ولكن ليس هذا ما أريد أن اناقشه الآن .

ان هدفى من هذا التأمل الثانى هو أن أوضح أن لهيب العليقة المشتعلة يمثل الصلة الأساسية التى هى سر الكون ، اى **الحب الحى ،** الملموس ، والشخصى تماما ، الذى يضم كل البشر ، كل الحيوانات ، كل النباتات ، كل المعادن ، كل الكواكب ، كل فراغ ، بل وكل خليقة ليست لنا بها معرفة .. وبتعبير دانتى : « هذا الحب الذى يحرك الشمس والنجوم الأخرى » هو الحب المقدم لكل واحد منا .

هكذا نعلم الآن ماذا يجب ان نلقب به الله اذا أردنا أن نمضى فى انطلاقنا الى مثل هذه الأعماق فى داخل قلبه ، فالله هو الحب غير المحدود .



٣

باب الرجـــاء

« وأعطيها كرومها من هناك ، ووادى عخور بابا للرجاء »
هوشع ٢ : ١٥

حالما تكلمنا بهذه الكلمات « الحب غير المحدود » . أو بالأحرى أفسحنا مكانا فى قلوبنا لهذه الحقيقة العظمى ، فاننا نكون قد فتحنا بابا . **انه الباب الذى يقود الى ملكوت الحرية والنور .**

« **باب الرجاء** » هذا الذى يتكلم عنه هوشـــع النبى ، ما معناه ؟؟ ان سفر هوشع يبدأ بمثل غريب ، ولكنه عميق ومؤثر جدا . لقد أمر الرب النبى أن يأخذ امرأة زنى ، وهكذا فعل هوشع مثل ما أمره الرب .. لقد أسلمت المرأة نفسها الى جمع من المحبين ، ولكنها لم تجد معهم ســلاما أو سعادة . لذلك ينزع الرب عنها كل شىء ، ويتركها فى حالة من العرى والجفاف : « وأخــرب كرمها وتينها »(١) عندئذ تقول المرأة : « أذهب وارجع الى رجلى الأول »(٢) ، وعندما يرى الرب تغييرا فى قلبها يصـــفح عنها : « هأنذا

(١) هوشع ٢ : ١٢ .
(٢) هوشع ٢ : ٧ .

اتملقها .. وألاطفها »(٣) فيعيد اليها الكروم التى نزعها عنها ، ويحول وادى عخور الى باب للرجاء . ويمكن أن ندرك اهمية هذا التغيير اذا تذكرنا أن كلمة « عخور » فى العبرية معناها مشقة .. **ان وادى المشقة صار بابا للرجاء ، للنفس التى نالت الغفران** .

ان المعنى العميق لقصة هوشع فى نصها الأصلى **تعنى** ، بكل وضوح ، بنى اسرائيل . فهى تشير الى الزنا الروحى والفجور الذى ارتكبه العبرانيون ، وانتهاكهم لوصايا يهوه ، وعبادتهم لأوثان غريبة ، ولكنها تظهر ايضا توبة اسرائيل والغفران الذى وهبه لهم الله . الغفران الذى يوهب للزانية التائبة « كيوم صعودها من أرض مصر »(٤) .

كل هذا تفسير تاريخى مباشر للنص . ولكن الكلمات التى نطق بها الروح القدس على فم هوشع تحمل معنى اكثر من هذا المعنى الخاص .. فقصة زوجة هوشع هى **قصة كل واحد منا** .. فمهما كنا غير امناء لله، فان اله المحبة يفتح لكل منا باب الرجاء .

وفى تعبير « باب الرجاء » نجد الارتباط بين كلمتين وفكرتين . فيوجد **الرجاء** ، ويوجد **الباب** . وبين هاتين

---

(٣) هوشع ٢ : ١٤ .
(٤) هوشع ٢ : ١٥ .

الفكرتين امور كثيرة مشتركة : فكلتاهما تعبران بطريقة مختلفة ، فاحداهما تعبر نفسيا ، والأخرى تعبر توضيحيا عن فكرة البداية أو المقدمة أو المدخل . فلنفحص معا بأكثر عمق ما هو الرجاء وما هو الباب .

الرجاء يعنى أول مايعنى ، فترة انتظار .. لشخص ما .. انه يتضمن الايمان المجيئى .. أى الايمان بشيء سوف يأتى .. حالة لا يكون فيها الشخص عارفا بل مؤمنا .. انه يقين روحى ، يقين داخلى . ولكنه ليس يقينا علميا . وهذا الانتظار يلهبه الحب ، فالحب هو فى الواقع أساسه الحقيقى والانسان يرجو ما يحبه فقط ، لذلك فالرجاء ليس هو مجرد انتظار فحسب ، ولكنه انتظار ممتزج بالحب .

وهنا يجب أن نفرق بين آمالنا بصيغة الجمع ورجائنا بصيغة المفرد .. فانى سوف استعمل صيغة الجمع للأشياء الخصوصية ، للأشياء المحدودة التى نترجى حدوثها ، والتى غالبا ما تعبر فقط عن ارادتنا الأنانية .. وبهذا المعنى قد نترجى أن نشفى من مرض ، أو نوفق فى مشروع أو ننجح فى امتحان . هذه هى الآمال .. لكن الرجاء شيء مختلف تماما .

الرجاء هو رغبة أو توق أو انتظار ... ليس لموضوع يتصل بأمر معين ، بل يمس مصيرنا كله ... فالفرق بين الآمال والرجاء .. تماما كالفرق بين قطاعات المنحنى وبين

المنحنى كله . فاذا اخذنا فى الاعتبار جزءا واحدا من منحنى حياتنا ، فقد ينتابنا احساس بالفشل أو الهزيمة أو الخيبة ... بينما ينبغى أن نتطلع الى منحنى وجودنا كله بثقة ملتهبة بالحب . فيكون الموت نفسه ، تلك اللحظة الفريدة الهامة ..مجرد لحظة .. نقطة على المنحنى .. وان منحنى حياتنا ليس بالمنحنى المعكوس أو المقلوب بل هو منحنى نحو الخارج ، أطلقه الذى خلقنا ، **أطلقه الى الخارج نحو اللامحدودية الالهية** ، فنحن بأنفسنا لسنا بلا حدود ، اذ ليس هناك خليقة غير محدودة ، ولكن اذا تقبلنا الحب الذى بلا حدود فحينئذ نكون شركاء بالنعمة فى هذه اللامحدودية الالهية .

ما هى قيمة الرجاء ؟ انها اللحظة التى فيها نظن أنه لا رجاء بعد .. ورغم هذا نأبى أن نيأس . فالقديس بولس يتحدث عن ابراهيم انه : « على خلاف الرجاء آمن على الرجاء »(٥) وهنا نتلامس مع مشكلة الألم ، التى ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرتى الرجاء والحب الالهى غير المحدود . فانى أعتقد أن أوضح اجابة على الأسئلة التى تثار حول الآلام البشرية ووجود الشر ، ليس فقط على المستوى البشرى بل على المستوى الكونى ، نجدها فى الايمان **بالله**

---

(٥) رومية ٤ : ١٨ .

المتالم او الحب المتالم ولكنكم يجب أن تدركوا بوضوح ما أعنيه بهذا الكلام ، فالحديث هنا ليس عن اله عاجز أو ضعيف بل أن علاقتنا هى مع اله غالب ، يحمل كل آلام البشرية فى نفسه **لكى يتخطاها** ... اله تجتمع فيه سرمديا **الالام والقيامة معا** ... اله ليس غريبا عن أى من آلامنا ، بل هو فى الواقع أكثر منا قربا اليها . كم كنت اود ان اجد متسعا من الوقت لأناقش معكم موضوع الاله المتألم والمراحم الالهية ـ ولكن ليس هذا مجاله الآن . ومع هذا فانى أود فى بساطة أن أذكركم **بفصلين من الكتاب المقدس : الأول** عن الثلاث فتية الذين ألقاهم نبوخذ نصر الملك فى أتون النار الملتهب (هنا نعود فنكتشف جانبا من جوانب الخليقة المشتعلة) . « ها أنا أنظر أربعة رجال محلولين يتمشون فى وسط النار .. ومنظر الرابع شبيه بابن الالهة »(٦) **والفصل الثانى :** « المحبة قوية كالموت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها »(٧) .. ان الرجاء سوف يتوقف فى حياة هؤلاء الذين بعد الموت يعاينون الله ، فالايمان والرجاء وقتئذ سوف يبطلان ، والمحبة وحدها هى التى تبقى . ولكن فى حياتنا الأرضية ،

---

(٦) دانيال ٣ : ٢٥ .

(٧) نشيد الأنشاد ٨ : ٦ ، ٧ .

أثناء مدة غربتنا وسياحتنا ، يعمل الرجاء **كدافع وحافز للمحبة** . ويجب علينا أن نكف عن التفكير أو التحدث عن آمالنا الشخصية التافهة ، فان عدم توفيقنا فى الحصول عليها يعتبر أمر تافه اذا قورن بالرجاء غير المحدود ، الذى ، لأنه ينبع من الحب غير المحدود ، فانه لا يخيب أبدا . فالأجدى بنا أن **نسلم أنفسنا** لقوة هذا الرجاء العظيم ... فانك اذا القيت حجرا فى الماء ، فان الموجات الدائرية تنتشر فى دوائر أوسع فأوسع ... وهكذا بالنسبة للرجاء الذى اذا دخل الى أعماقنا فان صداه يتردد فينا الى اللانهاية .

ان الرجاء الخالد هو انتظار الفجر ، ونور الصباح . وهناك فرق بين طريقة حسابنا نحن للزمن ، وبين طريقة الله ... فنحن نبدأ حسابنا بالصباح ، ببهجة شروق الشمس ، ثم يتقدم بنا النهار نحو الظلام والحزن ومأساة الليل . ولكن الاصحاح الأول من سفر التكوين(٨) يرينا الله كخالق لأيام ستة .. تبدأ بالمساء ، وتتقدم نحو الصباح ، ثم تصل الى أوج الظهيرة . وهذا يعود بنا الى **وهج العليقة المشتعلة والحب غير المحدود** ... فكل يوم من أيام حياتنا ينبغى أن يشتمل على هذا التدرج من الآمال المحدودة ومن الحب المهدد بالموت ، الى ضياء الصباح ووهج الظهيرة الذى للحب غير المحدود .

---

(٨) تكوين ١ : ٥ ، ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٣١ .

ولنعـد الآن ـ ان وافقتم ـ الى سفر هوشـع ، والى موضوعنا عن باب الرجاء . لقد رأيتم كيف ان الرجاء هو رد الفعل التلقائى ، وهو **الاستجابة الأولى** لاكتشاف الحب غير المحدود . فنحن ندخل الى الحب غير المحدود عن طريق باب الرجاء . وهذا الدخول يعتبر بداية الامتلاك ، الا انه ليس الامتلاك الكامل . (مع ملاحظة ان الحب غير المحدود هو الذى يستطيع أن يمتلكنا ، بينما لا نستطيع نحن أن نمتلكه) . وهنا أريد أن أذكركم بفصل من سفر الرؤيا ، موجه الى كنيسة فيلادلفيا « هنذا قد جعلت أمامك **بابا مفتوحا** ، ولا يستطيع أحد أن يغلقه »(٩) .. ان هـذه الكلمات موجهة الى كل منا ، فبـاب الرجاء الذى ذكره هوشع مفتوح أمام كل واحد منا ، وهو نفس الباب الذى يحدثنا عنه الرائى ، الباب الذى لا يستطيع أحد أن يغلقه ، الباب الذى **يقودنا الى ملكوت الحب** .

ما هو هذا الباب ؟؟ انه باب الفرصة الحاضرة مهما كان نوعها ... واذا استرجعنا حياتنا الماضية كلها ، فان أول انطباع قد نخرج به هو سلسلة من الفرص الضائعة . آه لو

---

(٩) رؤ ٣ : ٨ .

كنت أعلم ! ... آه لو كنت قد تصرفت على نحو آخر فى تلك الظروف ! ... آه لو كانت تعود ثانية ! ... ولكننا **لا نستطيع أن نحيا حياتنا مرة أخرى** ... اذ من المسلم به أن هناك فرصا ضائعة لن تعود .

هذه الفرص الضائعة لا تعتبر شيئا اذا قورنت **بالفرص الجديدة** التى سوف يقدمها الله لنا ، والتى يقدمها لنا فى هذه اللحظة بالذات . ولو انى اعطيت فرصة واحدة فقط قبل مماتى ، لكى استخدمها لغـــرض مقدس ، ولو انى انتهزت هذه الفرصة الأخيرة ، فسوف تعوضنى عما سبق وأضعته من فرص سابقة ... بل بالحق سوف تلاشيها جميعا .

انه فى كل يوم بل فى كل لحظة ينفتح أمامنا باب الرجاء ، ولكن الفرصة المتاحة تختلف من شخص لآخر ... فقد يفتح الباب على عمل غير عادى يختاره الله لنا ، ولكن عادة ما تكون الفرص أو الامكانية المقدمة لنا فى اللحظة الحاضرة ليست شيئا يلفت النظر أو يثير الحماس ، فالباب يفتح أمامنا لا لكى نعمل أعمالا غير عادية ، ولكن لنمارس الأعمال العادية جدا **بطـريقة غير عادية** ، فنكسبها حـرارة ولهيب العليقة المشتعلة والحب غير المحدود .

والآن وقد أوشك الباب أن يفتح أمامى ، ويتعين على ـ الآن لا غدا ـ أن اجتازه .. وهو قد يبدو انه مغلق ، لكن ما أكبر الخطأ الذى ارتكبه حين أجلس أمام البـــاب واتطلع اليه فقط ، فى انتظار شخص آخر يأتى ليفتحه لى !! ولكن ما على الا أن أدفعه برفق (اذ ينبغى من جانبى أن ابدأ بالقليل ، أو على الأقل بالرغبة والعزم) فينفتح لى من تلقاء ذاته ، مثل الأبواب الآلية فى المطارات .

ينبغى أن نذكر انفســـنا أن باب الرجاء ليس ســـوى اقترابا من الحب غير المحدود ، أما الشركة فى هذا الحب ، فى الحياة الأبدية ، فهذا شىء مختلف تماما ، والأمر هنـــا يمكن أن يقارن بالخطبة والزواج . فالخطوبة تشير فى معناها الى باب الرجاء ، وعندما يوضع الخاتم فى أصبع الخطيبة ، يبدأ زمان الفرح . أما الحب غير المحدود فيدعونا من هذا الوقت الى **اتحاد أكمل** ، وهذا يقودنا مرة أخرى الى هوشع النبى : « واعطيها ... وادى عخور بابا للرجاء ، وهى تغنى هناك كأيام صباها ، وكيوم صعودها من أرض مصر ، ويكون فى ذلك اليوم يقول الرب انك تدعينى رجلى ولا تدعينى بعد بعلى »(١٠) .

---

(١٠) هوشع ٢ : ١٥ ، ١٦ .

وكلمة **بعلى** معناها سيدى ، وكلمة **رجلى** معناها زوجى . فمن اللحظة التى نعبر فيها من خلال باب الرجاء ، يقبل الينا الحب غير المحدود ... فهل هذا الحب هو نفسه العطية غير المحدودة او الحب الموعود به ؟؟ كلا — فمثل هذا الكلام ، تصوير ناقص للحقيقة ، فهذا الحب هو الحب المعطى لنا فعلا . ان الحب يخاطبنا قائلا : « من الآن فصاعدا لن اكون لك بعد سيدك ... الا تريدين ان تقبلينى زوجا لك ؟ وان كان اتحادنا بلا شك سوف لا يكون كاملا فى هذا العالم ، ولكن ارادتى الخاصة هى أن تدعينى زوجى »

❋ ❋ ❋

٤

محبـــوب جـــدا

« انا جئت لاخبرك لأنك أنت محبوب جدا »
دانيال ٩ : ٢٣ .

فى أيام السبى اليهودى وخراب أورشليم كان دانيـــال النبى يشترك فى تقدمة المســـاء ، وفى صـــلاته كان يعترف بخطـــاياه وخطايا اسرائيل . وبينما هو يتضرع أمام الله ، رأى جبرائيل الملاك (الذى كان قد سبق ان رآه فى رؤية اخرى) يتقدم نحـــوه بخفة . فلمســـــه الملاك وقال له : « يا دانيال انى خرجت الآن لأعلمك الفهم . فى ابتـــداء تضرعاتك خرج الأمر ، وانا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب جدا . فتأمل الكلام وافهم الرؤيا »(١) .

والآيات التالية لما اقتبسته سابقا ، توضح أن رســـالة الملاك ، والرسالة الالهية التى نقلها للنبى ، كانتا مرتبطين بالأحداث المقبلة فى زمن المسيا . ولكن فى رؤيا دانيال ، كما فى رؤيا العليقة المشتعلة ، نجد أن رسالة الله تفوق المضمون التاريخى المباشر ، وتتخطاه الى معنى آخر شامل وأبدى . ولكى أوضح هذا الأمر ، سوف اركز على عبارة من ثلاث

---

(١) دانيال ٩ : ٢٢ ، ٢٣ .

كلمات فقط ضمن رسالة الملاك **((أنت محبوب جدا))** هذه الكلمات موجهة الى كل واحد منا ، مثلما وجهت الى دانيال النبى تماما . فلنحاول أن نكتشف معناها ، ونضيف الى هذا التصريح الالهى ، وصية الملاك لدانيال : **لذا تأمل الكلام وافهم الرؤيا .**

الى وقت قريب جدا ، كلما تحدثت علانية عن الحب الالهى (وهذا ما يضطر اليه كل كاهن مهما كان نقصه فى المحبة) كنت أبدأ بالتأمل فى الحب الذى يجب أن يضمره الانسان نحو الله ، واتخذ وصية الانجيل : ((تحب الرب الهك))(٢) كبداية للحديث . أما الآن فأنى مقتنع بأن هناك مدخل أفضل للموضوع ، فيجب أن تعطى الأولوية **لحب الله للبشر** . وهكذا لابد أن نبدأ من الأصل .. فلا ننسى أن حب الانسان لله ما هو الا استجابة لحب الله للبشر . استمع الى كلمات القديس يوحنا : ((فى هذا هى المحبة ، ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه **هو أحبنا))**(٣) بل اكثر من هذا ، لقد علمتنى اختباراتى الرعوية الطويلة ــ الى حد ما ــ انه من الصعب على الانسان أن يحب الله ، اذا لم يكن قد أعطى أولا أن يكتشف ويختبر حب الله نحوه . ومن الضرورى فى مرحلة ما أن يتقبل الانسان **صدمة** اكتشاف الحب الشديد

(٢) مرقس ١٢ : ٣٠ .

(٣) يوحنا الأولى ٤ : ١٠

الذى يحبنا الله به ! فالله دائما هو صاحب المبادرة . **لذلك** فقد انتهيت الآن الى هذه النتيجة ، أن وسيلة الكرازة بالانجيل ، (بالنسبة لى على الأقل) هى أن نتجه مباشرة نحو الناس ، لنقول لكل واحد منهم : « أنت محبوب » **ومن هذه الرسالة الأساسية ينبع كل شىء آخر .**

« **أنت محبوب ..** » **!!** ان هذا الاعلان أو هذه « البشارة » ، تقودنا الى صميم العليقة المشتعلة . فنحن لسنا فقط على هامش السر ، **بل لقد عبرنا بالفعل من خلال باب الرجاء** الذى تكلم عنه هوشع النبى . وفى اللحظة التى يقول فيها الرب الحب : « أنت محبوب » فاننا نجد أنفسنا فى داخل العليقة ، **فى وسط نيران الحب غير المحدود .** وعندئذ لن نكون أكثر من مجرد قطع من الخشب **الأخضر** الرطب ، ولكن اذا صلينا الى الله ، فان النار يمكن أن تمسك بنا فنشتعل .

فى هذه المرحلة الأولية ، سنكون كرجل مسافر فى ليلة شتاء مظلمة ، وفى عاصفة ثلجية ، وفجأة يلمح من خلال طبقات الثلج التى تجمد يديه نورا ، بل عدة أنوار !! آه .. ! لابد اذن من وجود بيت قريب ينبعث منه النور والدفء ، أى « نار » ... أنه **نداء الحب غير المحدود !**

ان العليقة المشتعلة هى حب **كونى** (شامل) فهل يوجد

فى لهيبها مكان خاص لنفسى المسكينه ؛ مكان لى أنا أحقر الكل ؟ ان الحب غير المحدود هو أساسا حب **شخصي** ، ولأنه يصدر عن اله شخصي (أو بالأحرى أقول بصورة أعمق : عن الأقانيم الالهية الثلاثة التى للثالوث الأقدس) لذلك فالحب غير المحدود **يفيض** نحو كل شخص على حدة .

ما معنى أن تكون محبوبا اذا كان الله هو المحب ؟ فمهما كان مفهومنا عن الحب ، فان الحب فى مجموعه هو تحرك كائن نحو آخر رغبة فى نوع من الاتحاد . أما اتجاهات هذه الحركة وصورها وأنواعها فهى تفوق الحصر ، فهى تتفاوت بين ما هو دون البشر ، وبين ما هو أسمى من الانسان . ولكن هناك دائما ميل للاتحاد ، ورغبة فيه ، سواء كان اتحادا للتملك أم للبذل والعطاء .. ان حب الله للبشر **هو حركة الله نحونا** ، لا لمجرد أن نعرفه أو أن نتشبه به (على قدر ما نستطيع) ، ولكن لكيما يعطينا ذاته **ويوحد نفسه بنا** .

ان الله لا يقول لنا فقط « أنت محبوب » بمعنى : أنا أريد أن أوحد نفسي بك ، ولكنه يقول لنا كما قال لدانيال : « أنت محبوب جدا » وبتعبير آخر : « انى اشتاق كثيرا أن أوحد نفسي بك » . وهنا ليتنا نتمهل بضع لحظات لنتفهم معنى هاتين الكلمتين : « محبوب » و « جدا » .

ففى كلمة ((**محبوب**)) نجد أن صيغة اسم المفعول تؤكد معنى الحب بقوة . ومع ذلك فان تعبيرا مثل ((محبوب)) أو ((محبوب جدا)) ربما تجعلنا نميل الى فكرة عاطفية عن ذلك الحب الذى هو بغير حدود . وقد تتعجب ، بل ربما تصدم ، ان قلت الك أن الله لا يستطيع أن يحب كثيرا أو يحب قليلا ، فان هذه الكلمات تضع حدودا معينة لحبه .. وهذا يتنافى تماما مع كونه بلا حدود ، فليس فى طبيعة الله شيء يقدر بالكم . وطالما أن الحب هو الجوهر الالهى فهو مطلق . فليس فى حب الله زيادة أو نقصان . أن الله ببساطة يحب . هذا هو كل شيء . **الله يعطى نفسه** . وانى أفضل أن أتجنب حتى مجرد القول أن الله يحب ويعطى نفسه ((كلية)) أو أنه يحب جميع الناس ((بالتساوى)) ، لئلا يجنح بنا هذان التعبيران الى المفهوم الكمى للحب . فالله يحب بطريقة الهية ، بمعنى انه فى كل فعل من أفعال حبه يوصل الينا كيانه غير المنقسم ، وهذا يعنى عدم محدوديته .

ما معنى هذا ؟! **هل الله يحب الخاطىء والقديس بذات الحب** ؟ الا يعترض الكتاب المقدس بشدة على مثل هذه الفكرة ؟ ألا يتحدث الكتاب عن أناس يحبهم الله وآخرين حجب حبه عنهم ؟!! من المسلم به أن لغة الكتاب تعبر عن **تمايز فى الحب** ، ولكن يجب أن نضع فى **الاعتبار أمرين :**

الأول : انه عندما أعلن الله ذاته للبشر ، اســتخدم طرقا ووسائل تتناسب مع فهمهم ، لكى يتلامس معهم . وأحيانا يكلمهم بطريقة بدائية فيتحدث اليهم مثلا كمعلم يضع لهم الأحكام والقواعد . **الأمر الثانى** : أن الانجيل يذخر بصــور بشرية كثيرة يعبر بها عن الأمور الالهية ، مثل ما نضطر نحن فى أحيان كثيرة الى استعمال مفردات اللغة البشرية بكلماتها الفقيرة ، والتى تعجز عن التعبير عن الحقائق الالهية .

وهنا لا أجرؤ أن أضع قاعدة ، ولـكنى ســأتجاسر ــ (فالانسان ينبغى أن يكون جسورا عندما يتكلم عن الحب غير المحدود) ــ أن أضع أمامكم فكرة ورمزا : ان الحب الالهى يمكن أن يقارن بالضغط الجوى المحيط بنا ، والذى يدعم كل الكائنات ، وفى الوقت نفسه يضغط عليها من كل ناحية .. وهكذا فالحب **يحاصر كل انسان** ، ويسعى لكى يجد فتحة أو طريقا يؤدى الى القلب ، لكى يتسرب منــه ليملأ الكيان كله . والفرق بين الخاطىء والقديس هو أن الخاطىء يغلق قلبه امام الحب ، فى حين ان القديس يفتح نفسه لهذا الحب عينه . وفى كلتا الحالتين ، فالحب هو هو ، والضغط كما هو لم يتغير ، ولكن واحدا يرفض الحب وآخر يقبله . (وان كان لا يمكن للانسان ان يقبل الحب دون أن تعمل فيه النعمة أولا ، ولكن هذه النعمة قد قدمت

أيضا لذلك الذى رفضها أيضا) فالاختلاف ليس من جانب الله ، بل من جانب الانسان ..

وتشبيه الضغط الجوى هذا ربما تتقبلونه بعدم ارتياح ... هل الحب الالهى يغمرنا مثل محيط يختلط فيه كل شيء ويضيع ؟ كلا بالمرة ، فلقد حذرتكم من استعمال لغة « التفضيل » فى الحب غير المحدود . فهذا الحب ليس مشوشا ولا خانقا . ورغم اننا فى الواقع يجب أن نتجنب لغة التفضيل ، الا اننا يمكن – بل ينبغى – ان نتحدث عن وجود « التنوع » فى الحب ... حب **متنوع** اساسا . وهذا يعنى اننا بعد أن استبعدنا كل فكرة كمية ، نقبل رغم هذا فكرة أن حب الله لكل كائن يختلف اختلافا جذريا عن حبه لأى كائن آخر . وفى مجال المطلق ، مجال الحب غير المحدود ، فان الظروف تختلف تماما من حالة الى أخرى ، فأية حالة خاصة لا تتكرر بعينها أبدا . فكل علاقة حب بين الله وشخص معين هى علاقة مميزة وفريدة ، وتختلف فى صفاتها عن كل علاقات الحب الأخرى بين الله وسائر الناس . وان كان ليس هناك « كثير » أو « قليل » ولكن يوجد دائما ما هو **مختلف** . فالحب اللانهائى **مقدم لكل منا.** وفى استطاعة كل واحد ان يفتح قلبه او يغلقه امام هذه **المعطية الالهية** . ان الرب الحب يحبنى **كما لو كنت انا**

الشخص الوحيد فى العالم ، وينتظر اســتجابتى كما لو كانت هى الاستجابة الوحيدة المهمة .

((**انت محبوب جدا**)) ، هذه الكلمات اذن لا تعنى ((انك محبوب أكثر من الآخرين)) أنها تعنى انك محبوب بطريقة الهية ، **انك محبوب بلا حدود** ، اذ قد فتحت نفسك للحب فتملك الحب عليك . وكلمات الرب يسوع ((تحب الرب الهك من كل قلبك ...)) يمكن أن تساعدنا على فهم طبيعة حب الله لنا . ذلك لأن محبتنا البشرية هى انعكاس لحب الله ، واشعاع صادر عنه . الا أننا لا يمكننا ان نطبــق الكلمات ((من كل قلبك)) تطبيقا حرفيا تماما على محبة الله .. لأن ذلك معناه أننا سنقيسها بمقياس الكم . ولايمكن قياس قلب الله بمقاييس الكل ، أو النصف ، أو الثلث ، لأن قلب الله هو بغير حدود . (ان محبة الانسان لها حدود لأن الانسان نفسه هو خليقة محدودة) . ومع ذلك يمكننا ان نستعمل التعبير ((من كل قلبك)) لنعبر به بطريقة رمزية وناقصة عن فــكرة أن الحب يدنو منا بصورة متســعة ولا نهائية ، وبشكل مطلق وغير محدود . فالله يحب كل واحد منا ، كل مخلوق ، حتي كل حبة رمل دقيقة بطريقة الهية غامرة . ولو اخذنا هذه الحقيقة ماخذا جديا ، فاننا سنصير مغمورين بها . اننا ، فى نفس هذه اللحظة الآن نعتبر نقط استقبال صغيرة جدا ، نستقبل الحب غير المحدود .

وان كان هناك فى هذا الفكر فيض كبير يمكن ان يدخل عقولنا ويغرقنا ويغمرنا ، ولكن الله يريدنا **أن نتقبل اعلان حبه لنا بهدوء ووداعة وفرح وثقة .**

« أنت محبوب » ... لاحظوا الضمير « أنت » . هذا التصريح ليس تصريحا عاما أو جماعيا ، فالله لا يقول « أنتم محبوبون » بصيغة الجمع ، وان كنا جميعنا محبوبون جدا من الله بكل تأكيد .. لكن بقوله « أنت محبوب » ، فان الله يتحدث الى الشخص الذى هو أنا نفسى . أنا نفسى الذى يدعونى باسم سرى خاص (مختلف عن الاسم الذى يعرفنى به الناس) ، الاسم الذى يقول عنه فى سفر الرؤيا : « أنه مكتوب على حصاة بيضاء » ، والذى لا يعرفه أحد الا الشخص الذى يأخذه(٤) فكل منا له الامكانية ، ويمكن أن يجد الفرصة ، ليكتشف وجها فريدا من أوجه شخصية الرب الالهية ... الرب الذى هو أيضا الحب .

« أنت محبوب جدا » . وليس « كنت محبوبا » ، أو « ستكون محبوبا » .. فأنى لم أكن محبوبا بالأمس ، أو امس الأول ، وليس أنى سأكون محبوبا باكرا أو بعد باكر بل **اليوم وفى نفس هذه اللحظة** ... كيف ، يا الهى ؟ كيف يمكن أن يكون الانسان فى حالة الخطية ويكون محبوبا ؟!

---

(٤) رؤيا ٢ : ٧ .

نعم يارب ، انى اؤمن أنك لم تكف عن ان تحب الخاطىء ، فانت تحب كل الناس ، كل انسان ، مهما كان ، وفى أى حالة كان . ربى انى اشكرك على حبك لنا بهذه الصورة .

((**انظروا اية محبة أعطانا الآب**))(٥) ... ولقد رأينا الآن مما هذا الحب : ((**أنت محبوب**)) ... انى اصلى أن **تظل** هذه الكلمات الالهية فى أعماق قلوبنا . كما ليتنا **نرددها** سرا فى سيرنا فى طريق حياتنا ، وبذلك نعلنها للآخرين ، **بل** ندعها تشع من حولنا .. ((**أنت محبوب جدا**)) .



(٥) يوحنا الاولى ٣ : ١٠ .

٥

أســـوار أريحا

« بالايمان سقطت أسوار أريحا ، بعد ما طيف حولها سبعة أيام .

بالايمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة ، اذ قبلت الجاسوسين بسلام » . عبرانيين ١١ : ٣٠ ، ٣١

هل يمكن أن يكون هناك ارتباط بين قصة أريحا المظلمة ، وبين رؤيا العليقة المشتعلة المشرقة ؟

ان ما يرويه الانجيل عن سقوط أريحا ومصير سكانها الذين قتلوا جميعا يثير مشاكل خطيرة ومعقدة ، ليس فى المفهوم التاريخى فحسب ، بل أيضا فى المفهـوم الدينى والأدبى على السواء .. ولكننا سنترك هذه المشاكل جانبا ، لأن ما يعنينا الآن هو أن نستخلص بعض الدروس الروحية من قصة أريحا ، وندرك أمورا معينة يمكن أن يوحى بها الروح الينا عن طريق هذه القصة .

ان أريحا هى **الصورة العكسية للعليقة المشتعلة** ، وهى على النقيض فى كل شىء ترمز اليه العليقة .. فنار العليقة المشتعلة تتسع وتنتشر تلقائيا ، بينما أريحا مدينة مغلقة ، ترفض أى اتصـال خارجى . فأريحا بحدودها تؤكد انغلاقها ، مما يتعارض مع الحب غير المحدود .

أن اريحا ، التى كان على يشوع ان يأخذها ، كانت مدينة محصنة ، تقع بين أورشليم والأردن . ولم تكن محاطة بأسوار عالية للدفاع ضد أى هجوم فحسب ، بل كانت لها دائرة مزدوجة من الأسوار (وهذا ما كشفته الحفريات الحديثة) ، كما لم تكن لأريحا أى رغبة فى استقبال بنى اسرائيل ، بل فى الحقيقة كان أى اتصال بالعالم الخارجي محظورا ((**وكانت اريحا مغلقة مقفلة ... لا أحد يخرج ولا احد يدخل**))(١) .

هذا ما كانت عليه أريحا فى القديم ، فما هى أريحا الآن ! انى لا أعنى المدينة المعاصرة التى نستطيع أن نزورها بين أورشليم والأردن ، ولا أعنى الأماكن التى تهم علماء الآثار ، ولكننى أقصد أريحا الروحية المتجددة .. أريحا الرمزية .. أريحا العالمية .. أريحا هذه هى **أنت وأنا** . فان أريحا تعنى انفسنا ، عندما نقطع ذواتنا من علاقات المحبة ، ونقيم حواجز ضد وصايا الحب غير المحدود .

وهناك طريقتان تعلن بهما اريحا ذاتها : فنحن احيانا قد نرى أريحا فى شخص آخر ، او فى مجموعة من الناس الذين نريد الاتصال بهم أو الدخول معهم فى علاقة محبة حقيقية ،

---

(١) يشوع ٦ : ١ .

ولكن أريحا تغلق أبوابها فى وجوهنا فماذا يمكن أن نفعل ؟ هل نشن هجوما على الأسوار ؟ كلا بل بالحرى نفعل مافعله العبرانيون : ندور حول المدينة ، حاملين معنا تابوت الرب ـ الذى يعنى كل ما هو مقدس لدينا ـ وفى هذه الأثناء نظل فى صمت ، ما خلا صوت **الأبواق الليتورجية** ، التى يجب أن تستمر حتى يقول لنا الرب كما قال ليشوع : ((**قد دفعت بيدك أريحا**)) (٢) وقد نصل الى نهاية حياتنا قبل أن نرى نجاح هذا الحصار الصبور ، واستسلام هؤلاء الذين كنا نصلى من أجل انفتاح قلوبهم للمحبة ، ولكننا بهذا نكون قد حطمنا السور غير المنظور الذى كان قائما فى داخلنا ، وذلك عن طريق المحبة التى من جانب واحد ـ أى جانبنا ... ليتنا نثق فى الله أنه يستطيع أن يستخدم هذا الحب ، ليكون له التأثير فى داخل الشخص الآخر .

ولكن صورة سقوط أريحا ليست وحدها الموضوع الرئيسى فى تأملنا ، فانى أفضل أن أتأمل معكم الموقف حين نقيم نحن أنفسنا حصوننا فى وجه الحب .

ان أسوار أريحا لم تبن فى يوم واحد ، فمثل هذه التحصينات استغرقت سنوات . وكما أن الأذن غالبا

---

(٢) يشوع ٦ : ٢ .

ما **تصبح** صماء نتيجة لتراكمات **بطيئة لافرازات معينة ،** كذلك ـ بنفس الطريقة ـ نحن نبنى جدار أنانيتنا حجرا بعد حجر ، يوما بعد يوم ، سنة بعد أخرى ... فيعلو أكثر فأكثر . لقد عزلنا أنفسنا ـ كما فعلت اريحا ـ عن طريق سورين محكمين ، سور منظور من الجميع وهو **الكلمات والأفعال السلبية ،** وآخر غير منظور ، لكنه مصدر لمتاعب أكثر ، وهو **أفكارنا المتمركزة بشدة حول أنفسنا .**

ان عملية التغرب والانفصال الناتج عن انعزالنا ، **يتناقض مع نفس خط التطور البيولوجى ..** فعندما نفكر فى المخلوقات الأولية بأصدافها السميكة الحصينة ، نجد أن هذه الأصداف قد انقرضت تدريجيا . وعندما فقدت هذه المخلوقات حصونها الثقيلة نشأت فيها الأجهزة العصبية .. فالتطور معناه الانفتاح الى الشركة والاتصال . وكل محاولة لعزل أنفسنا هى ضد طبيعة الكون ، وبالتالى فهى آثمة . وكل انفصال نتيجة لعدم المحبة ـ مهما كانت صورته ـ هو الخطية ، **فالانفصال هو الخطية .** ولذلك يمكن أن نعتبر أريحا رمزا للخطية ، طالما كانت تمثل العزلة ، واريحانا نحن ... من الذى يفرض عليها الحصار ؟ ان الله هو الذى يحاصرها .. كما يحاصرها أيضا أناس آخرون . **انه حصار الحب .**

ولقد تلقى يشوع أمرا بالاستيلاء على أريحا **بطريقة غير** عادية . ((**بالايمان سقطت أسوار أريحا**)) فكان على العبرانيين أن يتجمعوا أو يدوروا حول المدينة حاملين تابوت العهد ، دون أن يتفوهوا بكلمة بل يقرعون الطبول مع صوت بوق القرن . واستمر هذا لمدة ستة أيام ، وفى اليوم السابع تحطمت أسوار أريحا .

ان أريحا ليست خصما يهزم بالوسائل الحربية . وكذلك الحب لا يقتحم أنفسنا اقتحاما ، ولا نستطيع نحن أن نحطم أسوارنا بمعرفتنا ، ولا نقدر أن نهدمها حجر تلو الآخر ، ولكن الحب **يحاصرنا بصبر ومثابرة** . اما صوت الأبواق فهو **نداء الحب غير المحدود** . والحب ينحت فى أعماق حصوننا الداخلية ... ثم يهز الرب الأساسات ، حينئذ تنهار تماما أسوار أريحا .

ان الأبحاث الأثرية حول أريحا تؤكد رواية الكتاب المقدس ، فالأسوار لم تهدم بجهد بشرى .. ولكن هناك آثار لزلزال ، « لاهتزاز فى الأساسات » ... مثل هذه الزلزلة الأرضية كانت مطلوبة أيضا كما يقول الكتاب لدحرجة الحجر الذى أغلق قبر ربنا . فلا يكفى لكى نتحرر أن يكون هناك تعديل طفيف ، ولكن ينبغى أن يكون هناك **تغيير جذرى عميق** .

ولقد وجد علماء الآثار أيضا آثار نيران فى أريحا ... ومن

المحتمل أن يكون الزلزال أحدث هذه النيران (فان احتكاك حجر بآخر يولد شرارا) . والنفس بعد الهـــزة الأولى العظمى **تتحول الى شعلة** .. ان النار فى أريحا ، أريحـــا التاريخ ، بل وأريحانا نحن الخاصة ايضا ، ترجع بنا الى نيران العليقة المشتعلة .

لقد سمعت أبواق القرن عندما سقطت الأسوار ، وهـــذا رمز هام . فالقرن لدى اليهود ، وبالتالى بوق القرن ، كان يشير الى الذبيحة الطقسية . ولا زالت أصوات بوق القرن فى يوم كيبور (يوم الكفارة) تعلن فى داخل المجمع غفـــران الخطايا . أما بالنسبـــة لآباء الكنيســـة **فذبيحة القـــرن كانت ترمز لذبيحة المسيح** . ولأن المسيح حاضر فى كل وقت ، فحائط الانفصال يهدم فى أريحا ، أو فى أى مكان آخر ، لأنه كما يقول القديس بولس : ((**هو سلامنا ، الذى جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط**))(٣) . وعلى هـــذا المنوال يعلن المسيح لنا نفس هذه الـــكلمات العجيبة التى وجهها للرجل الذى كان أصم وأعقد اللسان : ((أفثا ، أى انفتح))(٤) .

((انفتح ...)) هذه الكلمة تقودنى أن أقتبس فى سياق الحديث بعض المقتطفات الأخرى ، أولاها عبارة معاصرة ، وهى عبارة

---

(٣) افسس ٢ : ١٤ .
(٤) مرقس ٧ : ٣٤

رائعة نطق بها مؤسس لاحدى الجمـــاعات الأخلاقية* : « **دع العالم كله يزحف نحو قلبك** » ولكنى اود أساسا أن أجذب انتباهكم الى نصين أخــرين من الكتاب المقــدس : « **يا ابنى أعطنى قلبك** »(٥) . ثم : « **واعطيكم قلبا جديدا ، واجعل روحا جديدة فى داخلكم ، وانزع قلب الحجر من لحمكم ، واعطيكم قلب لحم** »(٦) . وعمليات زرع القلب التى فى الوقت الحاضر تمدنا برمز عجيب ، فهى تمثل الصورة المضـــادة لموقف أريحا « المغلق » . وفضـــلا عن ذلك فان الجسم كله قبل العملية ينبغى أن يعد لاســـتقبال القلب الجديد . ونحن نستطيع أن نرى فى امكانية تغيير القلوب الطبيعية مثالا ، بل مثالا جميلا لانتصار الحب غير المحدود.

والآن ينبغى أن أتكلم قليلا حول **الجزء الثانى من فصلنا.** ولعلكم تذكرون انه يقول : « **بالايمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة اذ قبلت الجاسوسين بسلام** ».ان واقعة راحاب هامة جدا . فقد ارسل يشوع اثنين من جنوده ليتجسسا حصون أريحا الداخلية وهذان دبرا أن يدخلا المدينة المحرمة، واتيـــا الى بيت زانيـــة تدعى راحاب واقاما هنـــاك .

(*) Oxford Group & The Moral Re-Armament Movement

(٥) أمثال ٢٣ : ٢٦ .

(٦) حزقيال ٣٦ : ٢٦ .

وكان كل شيء يدل على أنهما قضيا الليل معها . ولكن ملك راحاب علم بخبرهما ، وارسل أمرا الى راحاب لكى تسلم الرجلين . أما راحاب فخبأتهما ، وانكرت أنها تعرف من اين اتيا ، واخيرا أعانتهما على الهروب خارج الأسوار . وقبل أن يتركاها ، اتفقا معها أنه مقابل معروفها معهما سوف يستبقونها هى وكل بيتها ، عندما يحين الوقت من قبل الرب لكى يعطى أرض اريحا الى العبرانيين . وسوف تكون العلامة المميزة خيطا قرمزيا مربوطا فى الكوة . وهذا هو ما حدث ، اذ بينما قتل كل سكان اريحا ، **« استحيا يشوع راحاب الزانية »**(٧) . وكل أهل بيتها معها .

ان هذه القصة ليست أدبية بالمعنى التقليدى للكلمة . فراحاب زانية ، وهى تخالف أوامر ملكها ، وتكذب ، وترتكب عملا من أعمال الخيانة ... ومع هذا تنال بركة الله . يقول المزمور : « قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله . اذكر رهب »(٨) . ويشبهها يعقوب الرسول بابراهيم ، اذ يكتب فى رسالة يعقوب : « كذلك راحاب الزانية أيضا ، اما تبررت بالأعمال ، اذ قبلت الرسل واخرجتهم فى طريق

---

(٧) يشوع ٦ : ٢٥ .

(٨) مزمور ٨٧ : ٣ ، ٤ . رهب فى رأى الكاتب وبعض المفسرين أنها راحاب ، والأرجح أن رهب اسم عبرى معناه عاصفة ، وهو اسم أطلق على مصر (راجع اشعياء ٣٠ : ٧ ، ٥١ : ٩ ، وأيوب ٩ : ١٣) ــ المترجم .

آخر(٩) ؟ . وفى الرسالة الى العبرانيين يذكر النص الذى اتخذناه موضوعا لتأملنا عن رحاب أنها خلصت بالايمان ، اذ قبلت الجاسوسين بسلام .

خلصت بالايمان ؟! أى ايمان ؟ أنه لم يكن ايمانا واضحا أو جليا ، لكن راحاب نفسها اعترفت أنها لا تجهل خروج بنى اسرائيل الاعجازى من مصر ، وكانت لديها فكرة غامضة عن المعونة الالهية التى أعطيت لاسرائيل . ولكن النقطة التى أريد أن أؤكدها هنا هى أنها عبرت عن ايمانها **بأعمالهـــــا** بواسطة عمل يحمل شهادة للحب غير المحدود .

كانت أريحا مدينة مغلقة ، معرضة عن أى اتصال خارجى .. أما راحاب فحطمت هذه الحدود ، واعانت لا الغرباء فحسب ، بل الأعداء ايضا . **لقـــد انتصرت للحب الذى يتخطى القيود ولا يخضع لها** . وظهرت أنها عطوفة ومحبة وكريمة ، ولقد نظر الله الى عطف راحاب على الجاسوسين اكثر مما نظر الى انحراف حياتها .

قد لا نرى اشارة نبوية فى واقعــة الخيط القرمزى الذى كان لراحاب علامة للنعمة ، ووسيلة اليها .. ولكن اشعياء يقول فيما بعد : ((**ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . ان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف**))(١٠) .

---

(٩) يعقوب ٢ : ٢٥ .
(١٠) اشعياء ١ : ١٨ .

وعندما يتكلم انجيل القديس مرقس عن ربنا فى فاتحة المحاكمة فانه يقول : ((وألبسوه أرجوانا))(١١) . أى اللون الأحمر الذى يشير الى الآمه الخلاصية .

ولكن **التضاد الالهى** ، أى الخزى المقدس يبلغ ذروة الوضوح فى الارتباط المباشر الذى يوجد بين راحاب وبين يسوع . فأن الذى قبل دموع المرأة الخاطئة وتقبيلها ودهنها (لقدميه) ، والذى صرف المرأة التى امسكت فى زنى دون أن يدينها ، والذى أعلن أمام رؤساء الكهنة أن العشارين والزوانى يسبقونهم الى ملكوت الله(١٢) ، هو الذى قبل أن تكون راحاب ضمن سلسلة نسبه(١٣) ... لقد أراد الحب غير المحدود فى تجسده على الأرض ، أن يرتبط اسمه باسم امرأة زانية ...

* * *

---

(١١) مرقس ١٥ : ١٧ .
(١٢) متى ٢١ : ٣١ .
(١٣) متى ١ : ٥ .

٦

طـــاهر ... ودنس

« ما طهره الله ، لا تدنسه انت » اعمال ١٠ : ١٥ .

عندما كان بطرس مقيما عند سمعان الدباغ ، الذى كان بيته على شاطىء البحر ، صعد الى السطح ليصلى نحـو الساعة السادسة ، « **فوقعت عليه غيبة** » ، ورأى السماء مفتوحة ، « واناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ... وكان فيهـــا كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء ... وصار اليه صوت ... قم يا بطرس اذبح وكل . فقال بطرس : كلا يارب لأنى لم آكل قط شيئا دنسا أو نجسا . فصار اليه الصوت ثانية : ما طهره الله لا تدنسه أنت » .

هذه الرؤية التى رآها بطرس تتعلق مباشرة **بمشـــكلة كبيرة واجهت الكنيسة فى مهدها** وهى : هل تكون الكنيسـة لجماعة معينة من الناس فقط ، كنيسة لليهود المختارين ، او تنفتح امام الامم الذين لا ينتمون الى اسرائيل ؟

وفى ذلك الوقت كان فى قيصرية رجل اسمه كرنيليوس قائد مئه ، خائف الله ، يهب بسخاء كبير للفقراء . هـذا رأى ملاكا فى رؤيا يخبره أن يرسل الى يافا ليســـتدعى

بطرس ... ولما تقابل رسله مع بطرس ، اضافهم وخرج معهم الى قيصرية ــ وهناك اجتمع بطرس مع كرنيليوس ورفقائه ، وتحقق أن هذه الرؤية التى راى فيها الحيوانات الطاهرة والدنسة كانت علامة على أن **الله لا يحابى الوجوه** . وكل من يصنع البر ــ من اليهود أو من الامم على السواء ــ مقبول عنده . وكرز بطرس بيسوع لهذه الجماعة من الامم ، وحل الروح القدس عليهم جميعا ، ونالوا المعمودية على يده.

ان حادثة يافا لها معنى اوسع واعمق من معنى قبــول الامم الى الكنيســة المسيحية .. وان كان معناها المباشر فى ذلك الوقت يختص بالعلاقة بين من كانوا معروفين انهم أطهار ــ وهم اليهود ــ ، ومن كانوا معروفين أنهم غير اطهار ــ وهم الامم ــ ولكنها أيضا تختص **بالعلاقة بين الطــاهر والدنس** فى أوسع معنى ممكن .

وقد اخبرتكم فى بداية هذه المقالات ، أن حوريب وسيناء ــ وهى أجزاء مختلفة فى نفس الجبل ــ يشيران الى اتجاهين مختلفين فى الأخلاق ، واحد تمثله العليقة المشتعلة ، وآخر يمثله لوحا الشريعة . وهناك تعارض لابد منه بين الاتجاه الأخلاقى للعليقة المشتعلة ــ اي الحب غير المحدود ــ وبين اتجاه الوصايا العشر . ولا شك أن كلا من حوريب وسيناء هما على السواء مصدر الهام للحياة البشرية . ولكن قد

يكون من الأيسر ان يلتصق الانسان باتجاه أو آخر من هذين الاتجاهين ، اما الخلط بينهما فيسبب مصاعب كثيرة .

فمثلا : قصة راحاب (التى جذبت اليها أنظاركم فى المقال الأخير) ، اذا تأملنا فيها من وجهة نظر الناموس ، سوف نضطرب كثيرا عندما نجد أن السلوك الذى اعتدنا أن نوافق عليه لا يتفق مع الوصايا الالهية ـ وهنا فلنسأل أنفسنا ما هى الوصايا الأخلاقية الخاصة بالعليقة المشتعلة ، اى وصايا الحب غير المحدود ؟

وكنقطة بداية ... ان الحب غير المحدود يتعارض مع الاتجاه الأدبى المسلم به قانونا ، واعنى به الاتجاه الذى يتمركز حول حرفية الناموس .. أى الأوامر والنواهى . بل فوق هذا ، واكثر من هذا كله ، **فالحب غير المحدود يلغى الناموس** . وارجو الا أكون قد ازعجتكم ... دعونى اذكركم أنى لست وحدى الذى يتكلم عن الغاء الناموس انصتوا الى كلمات أحد الرسل ، القديس بولس : « لستم تحت الناموس بل تحت النعمة »(١) . « أما الآن فقد تحررنا من الناموس »(٢) . « لأن غاية الناموس هى المسيح »(٣) .

ولكن يجب أن نكون مدركين تماما ما تعنيه هذه الآيات . فان كل الوصايا الالهية عادلة وصالحة ، وما قال عنه الرب

---

(١) روميه ٦ : ١٤ . (٢) روميه ٧ : ٦ .
(٣) روميه ١٠ : ٤ .

انه شر يبقى شرا .. واننا نستطيع ان نحيا حياة مقدسة اذا تمسكنا تماما بالوصايا العشر ، أو اذا اتبعنا ارشاد رسالة القديس يعقوب* (التى زيادة على ذلك مملوءة بالمحبة الأخوية الشديدة) أكثر من اتباعنا لرسائل القديس بولس أو القديس يوحنا ... فالقتل والنجاسة والأنانية هى اليوم خطايا كما كانت بالأمس .

ما هو الجديد اذن ؟ ان الجديد هو اننا اذا امتنعنا اليوم عن القتل ، أو السرقة أو الكذب ، أو الزنى .. فهذا ليس لأنها من الأمور المنهى عنها فى الألواح الحجرية (وهنا انا أتكلم من زاوية مسيحية معينة) ، بل لأن **((شخصا))**** عاش بطريقة معينة ومات بطريقة معينة . ولنعد هنا ثانية الى بولس الرسول ((**هو سلامنا ... نقض ... العداوة ، مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض**))(٤) . ومن الغريب أن هذه الكلمات سوف تجد قبولا ضئيلا لدى المسيحيين التقليديين ، الذين يصرون أن ينظروا الى الانجيل بمنظار العهد القديم .

ان شخص يسوع وحياة يسوع قد حلت محل الوصايا .. وان تبقى المعنى المباشر والعميق لكل الوصايا ، ولكن

---

* يعتبر الكاتب أن رسالة يعقوب رسالة عملية تهتم بابراز الوصايا على نسق الوصايا العشر ــ المترجم .

** الكاتب هنا يقصد المسيح ــ المترجم .

(٤) أفسس ٢ : ١٤ ، ١٥ .

الروح حل محل الحرف ... وعندما يصب نهر فى البحر ، فان كل نقطة من مياه النهر تظل موجودة فى البحر ، أما النهر كنهر فلا يوجد بعد ، لقد انتقلت قطرات مياهه الى هذا المحيط الهائل ... هكذا الحال بالنسبة لوصايا سيناء حينما **تذوب فى نيران العليقة المشتعلة ... وفى نار الحب غير المحدود .**

وفى أيامنا الحاضرة نجد أن المقاومة الشديدة للفهم الناموسى للمسيحية،وان كانت مقاومة فى حد ذاتها صحيحة (لأن كل هدفها النعمة) ، ولكنها تنتهى الى طريق مسدود . هذا المبدأ الذى يسمى « أدب الموقف » واسع الانتشار ، وهو لا يرتضى بأن يقبل مبادىء عامة ، فلا يهتم الا بالظروف الخاصة ، وبالظروف الجامدة الموجودة فى اللحظة الحاضرة . ويتجاهل كل شىء آخر .

هذا المبدأ الأدبى لايقبله الحب غير المحدود ، فان مثل هذه المبادىء تشبه ــ بلا شك ــ قوارب بلا أشرعة ولا مجاذيف ولا بوصلات ، بل تسير تحت رحمة الرياح والأمواج ، وكل من يرفض أن يدرك ما وراء الظرف الحاضر، فانه يغامر بأن يكون مجرد آلة فى يد رغباته الشعورية او اللاشعورية .

ولكن اذا رفضنا المبدأ الأخلاقى **الناموسى** ، اى المنهج المبنى على حرفية الناموس من ناحية ، ورفضنا مبدأ **((ادب**

الموقف » من ناحية أخرى ، فماذا يمـكن ان نعمل عندما نواجه **المشاكل** العملية ؟ ينبغى اذن أن نجد معيارا للسلوك ، يفوق كل من الناموس المكتوب والحالة الراهنة .. يجب أن نكتشف لا ناموسا آخر بل مبدأ يكون ساميا ، وفى الوقت نفسه شاملا يمكنه أن ينير أمامنـا كل موقف ، وفى نفس الوقت يـكون مرنا الى درجة تسمح له بالتـكيف مع كل الظروف المختلفة . **ان مبدأ الحب غير المحدود يحقق لنا كلا الأمرين ...** فهو يفوق كل المبادىء القانونية ، كما أنه يفوق كل الحالات الفردية . وهو لا يدفعنا الى الرجوع الى الوصايا المكتوبة ، ولكنه يقدم لنا **الهاما وتوجيها داخليا ،** ومركزه الثابت قلب دائما ملتهب .. ولكن هناك طرقا عديدة نمارسه بها على قدر ومضات النور الصادرة عنه .

وليس هذا هو الوقت الذى نتحدث فيه عن كل نواحى المنهج الأخلاقى للحب غير المحدود ، فالأفضل أن نركز حول الوصية الأساسية « **تحب ....** » ولكنى اود أن أوجه أنظاركم الى بعض أمور تبدو لى أنها أساسية .. أولا اذا أردنا أن ننظر الى مشكلة أخلاقية من وجهة نظر الحب ، فيجب أن ننظر اليها فى وضح النهار ، وهذا معناه أن نسأل أنفسنا عن كل ما هو حقيقى وجوهرى فى هـذه الحالة الخاصة .. فهناك أمر قد يبدو قانونيا فى نظر النـاس بينما هو ليس هكذا بالمرة فى نظر الله . وهناك علاقة قد تبدو سليمة فى نظر القانون الكنسى .. فى حين أنها ليست

كذلك لدى الله ، وبالعكس قد يرى الناس وضعا ما انه غير قانونى ، وهو أمام الله قانونى .. وهذا ما يجب أن نضعه فى أذهاننا فى الحالات التى تتعلق بالأحوال الشخصية (زواج ــ طلاق ــ زنى ... الخ) ففى مثل هذه الحالات تكون **الحقيقة الداخلية والنية والموافقة** اهم بكثير من اى مظهر خارجى قد يبدو صحيحا .. وفى الواقع قد **يتعارض** معها أحيانا ((**لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى**))(٥) .

ان قانون الحب يتعارض مع كل ما يسىء الى الحب . وهكذا فان الحب لا يستطيع أن يبرر أو يغفر قسوة **الآلام** المتعمدة ، الا اذا كان من الواضح أن هذه الآلام **تتوافق مع رغبة الشخص المتالم** . فاذا واجهنا صورا من الشدائد والآلام التى قد تصيبنا بسبب موقف اخلاقى معين ، فان **تقبل الآلام غالبا ما يكون هو الحل الأمثل** . ففى معظم الحالات يكون الحل الأمثل هو الذى يتضمن تضحية حقيقية من جانبنا ، لأن التضحية التى تسمو فوق التعليلات هى أعمق تعبير عن الحب .

ان قانون الحب غير المحدود يتطلب منا ان تكون لنا القدرة على **ادراك حضور الله حتى فى ذات الخطية التى يرتكبها الخاطى** .. ولنكن هنا أكثر تدقيقا فلا تظنوا انى

---

(٥) كورنثوس الثانية ٣ : ٦ .

اقصد فى بساطة انه حتى فى عمل الشر يكون الله حاضرا بصورة معينة ، وهذا لا يعنى فقط أن الله رغم انه يدين الخطية الا انه يظل يحب الخاطىء نفسه ، ولكن هناك ما هو اكثر من هذا .. فان كل ما يحدث سواء كان عملا صالحا او عملا شريرا ، له أصوله فى وجود الله . فنحن لا يمكن لنا أن نظل على قيد الحياة فى ذات اللحظة التى نرتكب فيها الشر ، الا لأن الله يهبنا وجودنا (أو بالحرى يعيرنا اياه) . ففى هذه اللحظة يستطيع الله أن يميتنا أو يلاشينا ، ولكنه يحفظنا فى هذا الوجود الذى نلناه منه حتى عندما يتجه هذا الوجود ضده .. فوق هذا ، فالحب الالهى فى رحمته اللانهائية يسمح للخطية أن تحتوى على بعض العناصر الايجابية ..

ما هى الاتجاهات التى يوحى بها لنا قانون الحب فى حالة الخاطىء الذى يشعر بخطيته ويندم عليها ، ولكن تنقصه القوة لكى يتخلص منها ؟.. ونحن كلنا نعرف مثل هذه الحالات ..

أول كل شىء ، ينبغى على الخاطىء **أن يضع نفسه بأمانة امام الله فى نور الحق الكامل** ، دون أن يلجأ الى أن يبرر نفسه أو يهون اخطاءه ، بل يظهر نفسه خاطئا وعاجزا عن تغيير حالته بنفسه ، ويخضع ذاته الى دينونة الله ونعمته.. **فالخطية تظل خطية ، والأبيض يظل أبيضا ، والأسود يظل**

أسودا .. ولكن هنا تستطيع الكنيسة أن تتدخل بطريقة مشجعة مناسبة . وفى حالة كهذه أتجاسر وأقول **ان الكنائس الشرقية تبدو أكثر تفاعلا** ، فهى عندما تواجه حالة يائسة بصورة واضحة ، تعرف كيف تحول المشكلة من المجال الأخلاقى الى المجال الرعوى والشخصى .. انها لا تستطيع أن تظهر الشر أنه خير ، ولا تستطيع أن تبرر الخطأ .. ولكنها تستطيع أن تعمل بصبر ، وتتفادى الحلول السريعة التى قد تقود نفسا أو أكثر الى عواقب وخيمة .. فمن يتولى المسئولية الخطيرة « **كأب روحى** » ، وان شئت فسمه « أخا أكبر » ، يقول للخاطىء الضعيف أو الساقط : **اعترف أمام الله بمسئوليتك عن الخطية ، ولا يجب أن يكون هناك انقسام فى قلبك .. ضع أمام الحب غير المحدود الرباطات التى لا تعرف كيف تتخلص منها** .. كن على اتصال بى . ومهما كانت خطيتك يا أخى أو يا أختى ، وحتى اذا لم يخلصك الحب الالهى فى هذه اللحظة ، فانى لن أتركك ، ولن أطرحك خارجا ، بل سوف أشاركك متاعبك .. هيا بنا نصلى معا . هيا نسأل الله أن يقودنا الى الحل الذى لم نجده بعد .

وباختصار ، ان ناموس الحب ــ او بالحرى روحانية الحب ــ يمكن ــ عند الضرورة ــ ان تتجنب البحث عن الحلول النظرية المفروضة ، سعيا وراء ما يتناسب مع هذه النفس بالذات . **فالخلاص لا يمكن أن نجده الا فى الحب ..**

واذا أردت أن أعين الخاطىء على ترك خطيته ، فانى أحاول بطريقتى الضعيفة أن أعمل ما يعمله الله مع هذا الخاطىء ومع هذه الخطية ، أو بأسلوب آخر ، أحاول أن أحبه أو أحبها بعيدا عن الخطية .

والانجيل يلخص الناموس كله والأنبياء فى **أن تحب من كل قلبك ، أن تحب كنفسك** .. « تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك .. وتحب قريبك كنفسك »(٦) . وهذا يضع لنا **معيارا** بحسب الانجيل لكل فكر صالح ، وكل كلمة صالحة ، وكل عمل صالح . ففى قبولى لهذا الفكر وتفوهى بهذا الكلام ، وادائى لهذا العمل ، هل أنا أحب الرب من كل قلبى ، وقريبى مثل نفسى ؟ سوف لا أدعى « أن هذا سهل » ولكنى سوف أقول « انه أمر بسيط » .. فهذا يحتاج الى قلب موحد .. يحتاج ان **نقدم القلب كله للحب** .. قلبا نقيا مثل الخمر النقية . قلبا سليما غير مزيف .. قلبا غير منقسم ولا مشتت .. وعلى ضوء هذا الكلام ، ينبغى أن نراجع مفهومنا المعاصر عن النقاوة ، أو بتعبير أدق **الطهارة** ، فكثيرا ما نفكر فى الطهارة بأساليب سلبية كأنها ليست سوى الامتناع . بينما القلب الطاهر النقى ، هو قلب سليم ، موحد ، كامل ، قلب يقدم نفسه بكليته سواء لله أو للناس .. والخطية

---

(٦) متى ٢٢ : ٣٧ – ٣٩ .

الحقيقية التى هى ضد الطهارة هى أن نقدم (أو نبدو أننا نقدم) لله أو للناس (للرجل أو للمرأة) حبا مزيفا . حبا ليس كاملا أو لا يستطيع أن يكون كاملا .. قلبا ليس موحدا .

هل خرجنا عن النص الذى بدأنا به تأملنا ؟ كلا فان رؤيا بطرس فى يافا ، وهذه الكلمات المقدسة : « ما طهره الله لا تدنسه أنت » كانت خلف كل ما ذكرناه . فهذه الرؤيا وهذه الكلمات ، تكشفان لنا الموقف تجاه الخطية ، وتجاه الخاطىء . هذا الموقف الذى توحى الينا به العليقة المشتعلة ، والحب غير المحدود . وأن المخلوقات الدنسة التى فى الملاءة الكبيرة التى رآها بطرس ، تمثل كل ما يبدو لنا أنه « دنس » وأعنى بهذا (اذا ذكرنا فقط بعض الانحرافات الواضحة بالذات فى أيامنا هذه) ـ ادمان المخدرات ، الحمل غير المشروع والاجهاض .. فعندما نواجه هذه الأمور ، هل نقول مع بطرس : « كلا يارب .. ليت هذا يبعد عنى بعيدا » ؟. ان الرب المحب يجيب : « ان من بين هذه الأمور بالذات ، بعضا قد طهرته تماما ، والآخر انا أطهره فى هذه اللحظة . ولكنى لا أستطيع أن اطهر او اغفر دون **تغيير داخلى فى حياة الخطاة** . اطلب منك أن تشترك معى فى عمل التطهير **بصلاتك ، وبتعاطفك** مع الخاطىء (لا الخطية) ، وباكتشافك وتمجيدك **لطهارتى الكاملة** التى تظل تعمل سرا ، فى عمق النجاسة التى تظهر علنا ..

لكى تفنى فى لهيبى .. وأقول لك ما قلته لبطرس : ((**اذبح وكل**)) وكلمة ((اذبح)) هنا معناها **افصل** العنصر السلبى عن العنصر الايجابى الموجود فى كل الخطايا . ابتره كما بسيف .. وكلمة (كل) معناها ((**استوعب** من حياة الخاطىء كل ما هو صادر عنى ويظل لى ، ثم اتحد معى فى جهادى لتغيير كل ما هو ليس منى .. وسع قلبك الى أبعاد قلبى)) .

انى أؤمن بلا أدنى تحفظ أن الحب غير المحدود يعمل دائما ليحول الدنس الى طاهر . وانى أردد مع بطرس الرسول : ((**أما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن انسان ما انه دنس أو نجس**))(٧) .

* * *

(٧) أعمال ١٠ : ٢٨ .

٧

نار عظيمـــــة

« فقدم أهلها البرابرة لنا احسانا غير المعتـــاد ، لأنهم « أوقدوا نارا وقبلوا جميعنا » . أعمال ٢٨ : ٢ .

اننا الآن فى ختام تأملاتنا . والحادثة التى يشير اليهـا النص السابق هى مثال حى مدهش لما يمكن أن تضعـه أمامنا العليقة المشتعلة ، أو بكلمات أخـــرى الحب غير المحدود .

تذكرون أن القديس بولس وبعض الأسرى الآخرين قد انزلوا على ظهر سفينة تحت حراسة جنـــود رومانيين ، لينقلوهم من فلسطين الى روما ، ليحاكموا أمام قيصر . وفى سفر أعمال الرسل نجد تطورات هذه الرحلة . ولقد عانى الأسرى من العواصف والجـــوع ، ثم انكسرت بهم السفينة . فحاولوا أن يهربوا لحياتهم ، عندما أراد الجنود المكلفون بالحراسة أن يقتلوهم . وفى النهاية بلغوا الشاطىء عند جزيرة مالطة .

وقد قام بولس بدور رئيسى فى كل هذه الأحداث . فقد ساعد فى قيادة السفينة ، ونفخ روح الشجاعة فى رفقائه الخائرين (الذين لم يكونوا مسيحيين) ، وقبل أن يأكل قدم

شكرا لله ، لا للتفاخر ولا لاجتذاب مؤمنين جدد . وكان قد كلمه ملاك قائلا له : ((**هوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك**))(١) . ياله من تأكيد عجيب قد نحسده نحن عليه . ليتنا نستطيع أن نؤمن حقيقة أن الله الى حد ما قد **استأمنا على الذين حولنا** . فان هذا يلقى ضوءا عجيبا على ما يمكن أن يكون فى امور الحياة اليومية العادية من تعايش سلمى ، ومشاركة قلبية بين تلاميذ المسيح وبين من يجهلون الانجيل أو يعادونه .

ثم هرب بولس وكل الأسرى الآخرين (وكانوا أكثر من مئتين) من السفينة المحطمة الى جزيرة مالطة ، وهناك أوقد لهم سكانها نارا وقدموا لهم ((**احسانا غير المعتاد**)) . هذه الكلمات الثلاث الموجزة تعبير قاصر مشحون بمعان عميقة . فأهل مالطة قدموا ترحيبا للاجئين أبعد بكثير من أن يوصف بأنه لم يكن قلبيا ، إذ أظهروا عطفا غير معتاد .

فما هو ذلك الشيء البارز وغير المعتاد فى ترحيبهم ؟ لقد سمح أهل مالطة للناجين من السفينة الغارقة أن يرسوا عندهم ، دون أن يكون هناك ما يلزمهم أن يفعلوا شيئا أكثر ، فلم يكونوا مجبرين أن يوقدوا نارا . وهذه الصورة

---

(١) أعمال ٢٧ : ٢٤ .

العجيبة التى استقبلوا بها الغرباء تتضح اكثر عندما نتأمل فى ماهية الضيوف والمضيفين معا .

لقد كان أهل مالطة برابرة ـ ((**أهلها البرابرة**)) . وهذه الكلمة « برابرة » التى استعملها القديس بولس نفسه تظهر بوضوح تلك الهوة التى كانت قائمة بين أهل الجزيرة وبين ركاب السفينة الرسميين الى درجة ما ، الذين رسوا الى شاطئهم . وكان البربرى فى نظر الرومانى انسانا لايستطيع أن يتكلم اللاتينية ولا اليونانية ، رجلا يعتبر أقل حضارة عن باقى شعوب الامبراطورية . ولكن برابرة مالطة كانوا كرماء ، بل أكثر كرما من الجنود الذين فكروا فى قتل الأسرى ، وأكثر كرما من البحارة الذين حاولوا أن ينجوا بأنفسهم تاركين السفينة بمن عليها فى الخطر .

ومن هم هؤلاء الذين نزلوا الى مالطة ؟ لقد كان البعض هم الجنود الرومانيون ، والبعض الآخر هم الأسرى ، وهم أناس سيقدمون الى المحاكمة لأنهم متهمون بجرائم . الم تكن هناك اى مشاعر مضادة نحوهم ؟ وهل كان هؤلاء الناس جديرين حقا بترحيب ودى ؟ وهل الأمر يستحق عناء ايقاد النار لهم ؟ لقد كانت هناك بكل تأكيد سجون فى الجزيرة تعتبر المكان الطبيعى لايوائهم . أما بالنسبة للجنود فمسئولية العناية بهم تقع على عاتق الامبراطورية الرومانية،

وبالتأكيد كان يمكنهم أن يجدوا ماوى فى الجزيرة فى احدى بيوت الحراسة أو الثكنات أو الفنادق .

لعلك تجد مقدار التناقض فى الترحيب الذى قدمه اهل مالطة لركاب السفينة الناجين ((**احسانا غير المعتاد**)) ... هنا يبدأ الحب غير المحدود . هنا **روح الانجيل** . سأل يسوع سامعيه مرة عما فعلوا أكثر من المعتاد : ((اى فضل تصنعون))(٢) .؟!!

ان احسان أهل مالطة يمثل البداية . ولكن المستوى الأعلى ظهر فى موقف السامرى ، **الذى** قبل أن يترك اليهودى الجريح أسعفه وأعطى مالا لصاحب الفندق ، **وقال له** : ((اعتن به ، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك))(٣) . ((**مهما**)) صك مفتوح . ان كل امثال الانجيل تقريبا تدعونا الى كلمة **مهما** هذه اى تدعونا أن نتخطى الحدود ، بل وان نطرحها جانبا .

وفى حالة أهل مالطة نجد ان عنايتهم **غير المعتادة** وضحت بايقاد نار كبيرة . ولاحظوا انى اقول : **نارا كبيرة** رغم أن الكثير من ترجمات النص اليونانى حذفت كلمة ((كبيرة))

---

(٢) متى ٥ : ٤٧ .

(٣) لوقا ١٠ : ٢٥ .

وقالت فى بساطة أن البرابرة « أشعلوا نارا » .. ولكن ترجمات أخرى تتحدث عن نار كبيرة ، وفى رايى أن هذا وصف أكثر دقة ، لأن الكلمة فى النص اليونانى لا تعنى مجرد نار ، ولكنها تحمل تقريبا معنى نار كبيرة مشتعلة .. وفضلا عن هذا فمن الصعب أن نتصور أن يرتضى انسان ما أن يوقد نارا ضعيفة ليدفىء الذين نجوا من سفينة غارقة، فالأمر يحتاج الى نار متوهجة تماما .

وهنا مرة أخرى نكتشف العليقة المشتعلة . فالعليقة التى اشتعلت فى حوريب كانت أيضا لهيبا كبيرا ، ولم تكن نارا ضعيفة . فالحب غير المحدود لا يوجد الا فى درجة حرارة مرتفعة ، وهذه الحرارة المرتفعة لا تعنى بأى حال أنها اضطراب محموم بل توهج مشع . وهذا يتطلب منا – ان جاز القول – أن **نستمد حرارتنا** مرات عديدة كل يوم ، لنحتفظ بداخلنا بهذه الحرارة الديناميكية . **((الم يكن قلبنا ملتهبا فينا ؟))**(٤) .

ونحن لا نستطيع أن نظل داخل العليقة المشتعلة ما لم نوصل للآخرين دائما **اللهيب الذى نحمله** . (وهذا متيسر حتى لو لم يكن الآخر موجودا بالجسد) . ويخبرنا

(٤) لوقا ٢٤ : ٢٢ .

سفر الأعمال عن الاحتياجات الخاصة التى شعر بها الركاب الذين أوقد لهم أهل مالطة نارا « من أجل المطر الذى أصابنا ومن أجل البرد »(٥) . وهذا يشير الى **حاجتين أساسيتين** أو بالحـــرى نوعين مختلفين من الناس . فبعض الناس شديدو التأثر بالصدمات الخارجية ... بقطرات المطر .. بالعدو الخارجى ، بينما يتأثر الآخـــرون أكثر بالبرودة الداخلية ، بالاحتياج الملح الى حرارة الروح . **وعلينـــا أن نعطى كليهما رعاية ودفئا** ، فعلينا أن نساعد هؤلاء الذين يتألمون من النكبات الخارجية ، وأولئك الذين يعانون من الحزن الداخلى .

ولقد فعل أهل مالطه أكثر من ايقاد النار لتدفئة ركاب السفينة الغارقة . وربما كانت هـــذه النار موقده على الشاطىء . ولكن هل كانت هذه النار كافية وحدها ؟ وهل يستطيع أحد أن يترك قوما فى محنة على شاطىء البحـــر دون أى معونة سوى النار ؟ كلا فسفر الأعمال يقول : انهم قدموا « لنا احسانا »(٦) وهذه العبارة تحمل من المعـــانى أكثر مما تحمل العبارات الأخرى ، فهى تعنى عمليا أن هؤلاء الناس استقبلوا بولس ورفقاءه فى بيوتهم . وحقيقة أن

---

(٥) أعمال ٢٨ : ٢ .

(٦) أعمال ٢٨ : ٢ .

الكاتب **يقول** : ((**لنا**)) بمعنى أنه هو نفسه كان أحد هؤلاء الرفقاء ، وهذا يعطى للقصة روح الصـــدق الحقيقى . والعبارة من الوجهة الروحية غنية بالمعــانى ، فالحب غير المحدود ((**يستقبل**))(٧) .. ان الحب غير المحدود يستقبل فى البيت ـ فى بيتنا نحن ، فى بيت الحب . **أنه** يستقبل لا بصورة رسمية ، ولكنه يقدم لنا ترحيبا وديا حقيقيا . أنه يستقبل **كل واحد** بلا استثناء فهو يفتح الأبواب جميعا : ((ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن ، وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية))(٨) .

والآن وقد وصلنا الى ختام هذه المقالات ، سوف أترك لكم فكرة من وحى النار الكبيرة التى قدمها أهل مالطـــة **البرابرة** لهؤلاء الناجين من الغرق . فلو كنا حقا خــداما للرب الحب ، واذا كنا قد أخذنا العليقة المشتعلة رمــزا للايمان وعلامة للعمــل ، فانه يتعين علينـــا أن **ننزل الى الشاطىء لكى نستقبل السفينة الغارقة .**

يجب أن نخرج الى الشوارع ، وراء هؤلاء الذين غمرهم

---

(٧) أعمال ٢٨ : ٢ « قبلونا جميعـــا » وفى الترجمة الانجليزية : استقبلوا كل فرد منا .
« They Received Us Every One »

(٨) مزمور ٢٤ : ٢ .

المطر ، وجمدهم البرد . ونأخذ معنا شعلة مضيئة لكى نوقد فى كل مكان نارا جديدة ، ونسأل أنفسنا فى كل مساء : « ما هى القيود التى قهرتها اليوم ؟ » ما هى الأبواب التى فتحتها لملك المجد ، للحب غير المحدود ؟ ما هى النار التى اشعلتها اليوم ؟ وما هى النار التى أريد اشعالها ؟ ولمن سوف أشعل النار ؟ .. « جئت لألقى نارا على الأرض »(٩) ... هذه هى كلمات الحب غير المحدود .

* * *

(٩) لوقا ١٢ : ٤٩ .

فهـــرس

تم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية برقم ١٩٧٤/٣٩٧١

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦